رواية

رحمات

للكاتب/ بكر أبو طُريه

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار الأديب للطبع والنشر والتوزيع

اسم الـــــدار	دار الأديب للطبـــع والنشـــر والتوزيع
اسم الروايـة	رحمـــــات
اسم الكـاتب	بكر محمد ابراهيم
رقم الإيـــداع	(/٢٠٢٠) بدار الكتب المصرية
الإخراج الفني	لدار الأديـــب للطبـــع والنشر والتوزيع
الغـــلاف	من تصميمات الدار

Facebook: Dar.Aladeb

Email :daraladeeb@Gmail.com

Tel: 002- 01014449164

الاهــداء :

الى أمي الحبيبة ..

والى من يتمنون غداً أفضل

بكر ...

المقدمة :

رغم عشقى للأدب إلا أن هذه الرواية نافذتي الوحيدة، وتجربتي الأولى في عالم الأدب ،تواجدي كان استدراجاً من أحد الأُدباء العِظام الذي لم يعجبه إنطوائي..وانبهر بكتاباتي وخواطري ..

وأصر على ظهوري في النور ..

تغيّرَت بعض القناعات ،وترسّخت أخرى عندي !

تفهّمْتُ بعض المواقف ،وفهمت بعضها!

وهناك أيضاً منْ لا دواء له !

يأتيك متحفِّزاً متربِّصاً مستفزَّاً، إذ قد اربكت تفكيره

وعبثت بقناعاته المتجذّرة!

تركت ضيق الأفكار ؛ وحاربت أزمة الوعي ؛ ونشرت بقناعة ويقين !

وما بقي من العمر أرجو أن أعيشه حراً مطمئن الضمير!

فلا تستكثروا علينا بضعة كلمات! نبوح فيها بالأمل أوالحنين أوالأنين!

إنما هي قناعاتي الصادقة

التي أنام عن شواردها قرير العين،وما كنت من أهل التقية ،والنفاق يوماً وما سقط من السماء تلقّفته الأرض....!!

" رَحَمَاتْ " ليلُها حالك طويل.. يتجمع فيه أحزان وآلام موجعة وصرخات ودموع مؤلمة ...عاشت على سنفونية الأمل..

ولقد أبيض شعرها وفنى جسدها وما زالت تنتظر.

فالاحزان المؤلمه تكتب على صفحات الزمن لا يمحوها ماء المطر ولا يمزقها ضباب الشتاء فهى موجوده حتى وان مرت عليها السنين

ربما تعجز الاساطير عن وصف رَحَمَاتْ

هي مسكينة حزينة بائسة تجاوزت الخمسين من عمرها انفلتت منها الخمسة عقود في رمشة عين، كما تنفلت حفنة الماء من كف اليد عند محاولة القبض عليها ،التفتت إلي ماضيها خلسه لعلها ترتاح فيما قدمت خلال هذا العمر!!

بدأت تتفحص وتتمحص الزمن، صدمات نفسية عاشتها من ذي قبل مع طليق متعجرف ومتشدق لا يفهم معنى النخوة والرجوله ،الا أن يجلس في البيت كالنساء، لم يقدر لها ان تعيش مع هذا الرجل سوي عشر سنوات ثم مات وافاض إلى ما قدم بعيدا عنها ..

لم يترك لها إرثا ولا ميراثا وانما ترك لها هموم الحياة ..

ومتاعبها التي لا تنتهي ..!!

ترك لها ولدين جميلين كبرتهما وربتهما حتى أصبحا شابين يافعين مُهند ..وسفيان .. أنساها الإ ثنان متاعب الحياة !

إنسحب البساط من تحت قدميها!

صدمات كثيرة حدثت لها، فحاولت جاهدة ترميم نفسيتها من الدخل، وترتيب الستون سنة المتشابكه، كصخور الهرم!

ولماذا لا يتدخل القدر وانها في آخر المطاف ليست بنهاية العالم !!

إنها مسكينة تتأوه وتتألم في نفس الوقت فكم هي قاسية هذه الحياة وزمنها!!

وكم هي قاسية الجغرافية اللعينة، كيف ستقنع نفسها بنفسها وأنها قد أنجزت شيء خلال هذا العمر!!

تعيش في بيت مورووث عن أبيها سقفه من القش والخيرزان مفارشه حصائر متهالكة!!

شا بت رحمات قبل المشيب من هول الأيام ومُر الزمن بالرغمِ ما يُحيط بِرَحَمَات من ظروف حياتية! قهرية، أُجبرت عليها ولم تخترها وإنما قُدرت لها ،فعاشت متأقلمةً عليها ..ولم تستطِيع الهروب منها ..

فلا مناص من الواقع الذي تعيشهُ

ربما تتمنى أن تتعلق بقشة النجاة، في دنيا البحور المتلاطمة! والامواج العاتية..

ان السعادة ليست ضحكات هستيرية ،ولا نبرات موسيقية، يعزف عليها المتصنعون، وانما هي حديث مع النفس وتحدث وهمس!

ان كل انسان على هذا الكوكب يبحث عن ضالته المنشودة، حتى لو تعددت ضالات الجميع، ومقاصد القطيع !

ان الإيمان الجازم بالرضا والقناعة ،يُنجب سعادة حقيقة لدى جميع البشر، وهذا لا يأتي من فراغ وانما أتى من إيمان عميق..وفكر مستديم

تجلس رحمات في الساعات المتأخره من الليل في غرفتها .. وتبقى وحيدة تحدّق في المجهول.. وتنظر إلي طفليها .. اللذان يُنسياها بعضا من الآلام والأحزان.. وبعدما ينام جسمها فيستيقظ عقلها.. وخلال

دقائق تكون قد وقعت في فخ عقلها وجعلته من نفسها ضحيه لأفكارها تتذكّر كل ما مررت به من هزائم وكل ما تسبب في إحباط لهذا الحد.. وتظل تفكر وحدها لساعات.. وأخيرًا تدرك الحقيقه المطلقه في هذا الأمر.. أنه لن تمتد لها يدٌ تمسح دموعها ..وتخفف آلامها الا التضرع إلى الله بالدعاء..عسى أن يخفف عنها وطأة الحزن وبؤس الايام ويمنحها أملا في القادم ...

سيبقي الله هو الإله وهو المخلص والملاذ والملجأ الذي يطيب جراح وآلام وأحزان الجميع ..

ودائما ما كانت تنتظر لحظة الفرح ..

تتمني من ولديها أن يحميها من عثرات الزمن وعقبات الطريق!! ووحوش الزمن المتهالك ..ذو الأنياب المفترسة ،حتى لو كلفها الأمر ان تمنح حياتها لأولادها ..

ودائما ما تتمني أن تسبح بالخيال في السماء وتتراقص زخات المطر حولها كالفراشة الذهبية الطا ئرة وهي بين ولديها ..

تأخذها الأجواء وتجذبها بعيد عن كوكب الأرض!! وتقذفهاا الرياح تارة يمينا وتارة يسارا !!

تتمني أن تسا فر مع ولديها الي مكان خاوي بدون بشر لا يعرفها أحد

تتمني الاقتراب من نصفها المفقوود الذي يعتريها في منامها ويقظتها آناء الليل وأطرف النهار !!

ذكرتها أمهامن ذي قبل ما أروع ذلك اليوم الذي ولدت فيه يا بُنيتي الكل كان خالدا في جنة السعادة ،والبقية يرقصون داخل مستطيل المتعه!! يلعبون فوق مربع التشوويق، وأنتي كنتي تتلذذي نشووات الفرح في المهد !!

تقرأي صفحات كتاب الدنيا ،محاولة، العثور على أطروحات تستأنسي بها عروض الحياة !!

إنها الايام يا بُنيتي وما أفعل الايام

أنه القدر وما أفعل القدر

عاشت رحمات أياما مؤلمة واعواما قاسية ..قهرت الصعاب وذللت الأسباب..وكسرت حواجز اليأس ..فسمت نفسها وعز قدرها ..وعلى شأنها ..

فارتبط مصيرها بالرضا في حنين لأصولها الطيبة ونفسها العفيفة

ابوها كان شيخا مُعلما وحكيما وحافظا لكتاب الله

يشاوره القاصي والداني مات والدها وهي في السادسة عشر من عمرها ..

عانت كثيرا وما زالت ..

ومازالت تمضي .. رغم وَفرة الحُزن وتعب الخَطوة.. وتمزّق الطرقِ المؤدية للخلاص.. تمضي رحمات في غَمرة كل هذا التِيه وتتسائل :كيف تنجو بالقليل الباقي منها .

ربما غرتها البدايات مع زوجها في أول زواجهما لكنه كان ما كان من أقدار الله ..و لم تسعى رحمات للنهايات ..

ودائما ما حسنت الظن بسذاجة .. و لم تُسيء الظن بقساوة ..

لم ننتظر شيئاً من أحد..و تتوقّع كُل شيء من أي أحد لأنها حياة أحببتها أم كرهتها المسكينة ..

خوف البدايات يقلق..

ووجع النهايات يدمر..

تخرجا مهند من كلية الآثار الإسلامية وسفيان من كلية التجارة

فرحت رحمات فرحا شديدا

ربما سيعوضها الله بصبرٍ جميل

كانت بداية المشوار

قدم مهند في شركة سياحه بمدينة الأقصر لكي يعمل في مجال السياحه

وقدم سفيان في شركة مقاولات كبيرة بالقاهرة بوظيفة محاسب

اخذ مُهند حقيبته وودع أمه واتجه ناحية المحطه

فمهند كان يمتاز بخفة الظل والدم والوسامه ..

الساعة تُشيّر إلى الواحد ونصف زوالا في محطة المسافرين برمسيس

محطة شبهَ فارغة رأيت حافلة ومن اسمها يبدو أن حافلاتنا تقتل أكثر من أن تُوصلك لوجهتك. بمُجرد قراءة إسم هذه الحافلة وهي مركونة بزاوية بالمحطة الطُرقيّة حتى أتخيّل نفسي مرمِيّا في مكان ميّت والذباب الأزرق الكبير الحجم يحوم حولي. لم أجد بديلاً عنها فهي الوحيدة التي وجدتُها ذاهبة لمدينة الأقصر .

إستعنت بالله وحوّلقت في جوفي عشرات المرّات وأنا أصعدُ لها.

الحافلة نصف كراسيها فارغة جلستُ على كرسي وسط الحافلة مع أنه كان ممكناً لي الإختيار بين عشرات الكراسي لكني فضلت الوسط لا أعلم لماذا؟ المهم شيئٌ ما أجبرني على إختيار منتصف الحافلة في الخلف تحسُّ فيه أنك و"الموتور" متساويان إقتعدتُ كرسياً ووضعت حقيبتي فوق الكرسي المُجاور فتاتان جميلاتان تجلسان للأمام.. إمرأة عجوز.. زوج وزوجته تحمل طفلتهُما الصغيرة.. إمرأة مُتقّبة وشيخ سبعيني.. وثلاثة مراهقين يتصفحان شاشة هاتفهم.

وما إن إستوت الحافلة فوق طريق حتّى نام جلّ من بها، عدا أولئك المراهقون الثلاثة ظلوا يتبادلون الحديث على فتاة روسية وكيفية مغادرة

هذا البلاد التعيس.. جانبي شيخ السبعيني يشخُر كأنه يتوسد وسادة تبنٍ والمرأة الموشّحة بالنقاب الأسود لم أدري أنامت أم لا؟ كان كل شيئ فيها غير مرئي والشاب ذو القامة القصيرة تكوّر كبطيخة وحشر رأسه بين ركبتيه ربما شعر بالبرد عكس الرجل العجوز الذي يرتدي الجلباب فأنا لم أتخيّل نفسي ألبسُها يوما وأنا مُسافر ماذا لو أردتُ العراك مع أحد الموظفين بالمحطة لأني لن أدفع ثمن التذكرة أكيد سأجد نفسي عاجزاً عن قلعها..

لكنني دفعت ثمنها ..ثم تاهت منى ..

الحافلة تمضي على الطريق ومُحركها يَهدرِ والنعاس يغالبني ..

أغلق عيني لبرهة قصيرة ومرة أخرى أفتحُهما مُحدقاً في الجميع

تعاركتُ هذا اليوم مع كُمّسري الحافلة العملاق بعد أن لم يجدّني أتوفّر على تذكرة وهو يصعد ليُراقب تذاكر الركّاب شدّ عنقي بقوة حتى كادت عيناي أن تسقطا من حُفرتيهما. ضخامته وصلاّبةُ يداه وضعاني تحت رحمته كديك ينتظر فقط وقت مرور السكين الحادة على رقبته إذ لم يعد له من خيّار للهرب والفكّاك بروّحه...

يُمسك بي كلصّ ضبطوه يسرقُ محافظ الركّاب ويلعن اليوم الذي عرف فيه أمثالي المتسلّلين في جوف الحافلة الرافضين لدفع ثمن ورق التذكرة

لا أحد من الركّاب المستسّلمين والخائفين، تجرأ وتدخل لينقذ رقبتي المسكينة من جبروته. كلهم ابتعدوا عن الشرّ وغنوا له. ينظرون إليّ من تحت جفونهم كأنهم يستعرّون مني، ومن فعلتي الشنيعة التي أستحقُ عليها الإعدام. بؤساء حتى في تضامنهم، ملاعين في نظرات الشّفقة التي يتصدقون بها عليّ لحظتها.

لم أملك سوى النظر في وجهه المُتجهم. كان ينوي على شرّ. عيناه الجاحظتان فظللتُ مخنوقاّ تصعد أنفاسي وتهبط بصعوبة..

لم أهتم بسؤاله المتكرّر لمرّات وهو يُحذرنا من بطش المُراقب

تحركتْ الحافلة في اتجاه المدينة..التذكرة قد ضاعت مني يُجافيني النوم وأشعر بالخنق من كلّ شيء. قعدتُ مكاني منتظراً لحظة صعود المُراقب وما هي إلا دقائق معدودة حتى توقفت الحافلة وسط الطريق وصعد لها رجل عملاق وبمجرد ما انطلقت مُجدداً إذ بالعملاق يشرع في أمرنا بأن نكشف له عن تذكرة الحافلة. الركّاب يحتفظون بها كأنهم يحتفظون

بخريطة كنز ثمين. يحرصون على أن تظلّ في مكان آمن، وأغلبهم لمّ راحة يده عليها كأنها مُصابة بالبرد وتحتاج للتدفئة كي لا تموت..

ينظر هو للتذاكر يمزّق نصفها ويعيدها لصاحبها. وما إن وصل لكرسيّ طالبا الورقة أجبته بشفتين مُرتعدتين:

ضاعت تذكرتي ..

في هذه اللحظة،

، وبمجرد أن عرف أني ضاعت تذكرتي وبدون تفاهم

أمسك بي بقوة وعنف ومن شدة شدّه لي أنهضني بالقوة من على الكرسي وجدا فرصة لأن يُجرّب فيّ مواهبه في القتال لكني شخص ضعيف ولست بحجمهُ كي أنازله كان يوصي السائق أن يتوقف بنا لأنه مصمّم على أن يعاقبني الرّكاب هنا انتفضوا حين سمِعوه يأمر السائق بالتوقف. انبرت فتاة جميلة وتقدّمت تريد دفع ثمن التذكرة بدلا عني كي لا يُعطلها وقوف الحافلة عن موعدها رفضتُ بشدّة . لا مشكلة لي في أن يضربني المُراقب.. أن يُكيل لي الشتائم أن يقتلني حتّى ويعلق جثتي بمدخل المدينة كي أكون عبرة للآخرين كل هذه العذبات تُستحمل لكن أن

تدفع لي فتاة ثمن التذكرة أمر مشين وسمعتي بين الناس ستهان على إثره وقد يُبلغ لأمي أمر الفتاة هنا لن يرضى ببقائي معه بدأ ينظر فيّ الركاب باستغراب. كيف يرفض هذا الأحمق من سينقذه من مصير غامض ويُطلق سرّاح رقبته من بين يديّ المُراقب الغاضب؟

ـ فقلت له ضاعت تذكرتي

ثم إنها حافلة قديمة ولا تستحق أن أدفع لها ثمن التذكرة اساسا فاجأه كلامي غريب وعلى ما بدا لي من تقلّص ملامح وجهه انه ظن أني مجنون في جنوني. وشيئاً فشيئاً بدأت يده ترتخي من على رقبتي. ينظر لي ويتفحصني كلامي بدا له عجيباً أزاح يده وبتحقير وتنقيص من سلامة قوّاي العقلية أشار لي بالجلوس وهو يتوجه للسائق بالخطاب: توقف له في منعطف الطريق

ممتن لشجاعتيٌ أنقدتني من بين يديّ فيل عملاق كاد يقتلني خنقاً..

وصلت إلى عنوان العمل في الأقصر

واستلمت غرفتي وطمأنت أُمي على وصولي..

انتظرتني أمي سبعة وعشرون سنة لعلي أمسح غبار الغبن من على جبينها..

سبعة وعشرون سنة، إنها أم صبورة حتى نتظرتني كل هذه الأعوام الطويلة دون يأس، ودون تذمر، غنت لي المسكينة أغنيتي المفضلة، أي أغنية الأم السعيدة بولدها الوحيد الذي سيكبر ويحمل هم والدته .... كنت وقتها طفل صغير أجلس بجانبها، وهي تُحمّي أخي الذي يصغرني بأربعة سنوات، أتوسلهاوأشفق عليها لي أيضا..

فأبكي معاندا لقرارها الغير المنصف في نظري وقتها، فأستلقي على ظهري حتى يُغالبني النعاس، وهي تغني لي وأخي أغنية الأم السعيدة بطفليها.

إنها سنوات جميلة حقا..

ها أنا كبرت بسبب عنايتها وسقيها الدائم لعروقي، وعوض أن أرد لها الجميل، إبتعدت عنها لمسافة يوم ونصف من الزمن ..

آسف يا أُماه ...

مر شهرٌ في عملي بالأقصر لكن خيال أُمي كل يوم لا يفارقني

أجمل هدية أعطاني الله إياها، إتصلت بي مساء كي تنقل لي اشتياقها وتطمئن علي، سمعت نبرة صوتها بدت لي من خلال صوتها أنها متعبةأرهقها خوفها علي أكثر من أي شيء، وأكثر من قسوة الحياة جائني صوتها تكاد تبكي، أنا الجزء الذكري الوحيد من كبدها هرب عليها بعيدا، تمنت لو يعود لها ولو مريضا، كدت أبكي، إستجمعت قواي كي لا أضعف، أحسست أني أسأت لهذه الأم الطاهرة كثيرا مهما أرى نفسي باراً.. إعتذرت لها في سري، أفعالي التي لا تغتفر، أني لم أستطع يوما الاعتذار لأمي أمامها علانية، أبتعد عنها كي لا أعذبها، وهي تعتبر بتعادي عنها عذابا أكبر،ثمنيت لو أخبرتها أني مدين لها بالكثير، مدين لها بالحياة، واستمراري على قيد الحياة، جُبني أني لا أستطيع قول هذا لها في وجهها، أرتكن للظلام وأبعث لها قبلاتي الحارة، مدرك أني لست الإبن الأفضل لهذه الأم الطيبة، لكنها تعتبرني نور عينيها مهما أخطأت في حقها يوما، ذات يوم، وهي تجلس أمامي نفترش الأرض كعادتنا لتناول الإفطار، وفي غفلة منها، عددت عدد تجاعيد وجهها، وجدتها كثيرة، ربما أنا السبب، لولاي أنا، وفي غيابي حضر ابن أفضل مني، ما

كانت كل تلك التجاعيد ستغزو وجهها الجميل بهذه السرعة، وهي ما زالت في ريعان شبابها،ط بالنسبة لي .. أخبرتني عن أحوالي وكيف يمضي يومي في غيابها، أردت إخبارها أني إشتقت لها كثيرا، لكن أغلال الصمت كبلتني، لا جديد أقوله لها، وجدت نفسي أسألها عن صحتها، ربما لا زالت التجاعيد تتوالد في وجهها، أمسح دمعة تسربت على خدي في غفلة مني، مسحتها كي لا تسمع نحيبا طب علي فجأة، لا أريدها أن تنهار، هي تعرف أني لا أصلح لشيء، لكني لا أريد لها أن تسمع ضعفي نحيبا، إطمئنت قلبها علي حين سمعت صوتي من جديد صوتي بالنسبة لها مثل "أسبرين" يخدر كل خلايا جسدها، أحبك كثيرا "أمي"، دعيني أبكي لأجلك قليلا، وأنظر لي صورتك، وأُعذب نفسي بالنظر لعينيك الجميلاتين وأنت غائبة، كيف سمحت لنفسي بأن أُبكيك يوما، يا لي من إبن لعين، كنت تستحقين إبنا أفضل مني، ليست هذه هي الحياة التي تمنيت لي،أسف كثيرا "أمي" عن كل ما سببته لك سابقا أَخبَرها "أخي " عن ما كتبته لها، لأني عاق وجبان، ولا أملك الجرأة لأخبرها بنفسي علانية، وأحيانا فضلت أن يبقى حبها عذريا في قلبي كي يدوم للأبد..

أحبك أمي كثيرا، وفوق ما تتصورين أيتها الحنونه المجاهدة المكافحة ..تعبتي من أجلي وأخي سُفيان في تربيتي ..

اجتهدتِ وعملتِ في الحقول من أجل ولديكِ ..

احبك يا أمي ..

هي المسكينة التي كانت وما تزال تهتم لأمري، تراعيني كأني لازلت طفلا في الثالثة من عمره، أعيش الآن بعيد عنها، وحين ننهي فطورنا مساء، كل واحد منا يلوذ لمضجعه، دون ان يلتفت للأخر، أظل وحدي سهرانا أنتظر أن يغطيني أحدهم، كانت أمي تفعل ذلك كلما عدت ليلا للمنزل كانت المسكينة تتفقد غرفتي كل دقيقة مترقبة متى أعود، هي تعرف أني كلما تأخرت في العودة إلا وأني سوف أتي فاقد الوعي، وفي حدود الساعة الثانية صباحا، وهي تنهض من فراشها الدافئ، وتلقي نظرة على غرفتي، تجدني بالكاد تمددت في فراشي غير مستوعب لأي شيء تغطيني بمهل شديد، غير متأففة من فعل ذلك، تغطيني جيداً كي لا يصيبني برد الصباح القارس، وهي تهم بإغلاق باب الغرفة تدعو لي وأخي بالهداية، وقتها لم أكن مستوعبا بما كانت تقوم به، ولو فطنت

لفعلها ذاك وقتها، لكنت منعتها من فعل ذالك، أنا من كان عليا أن أفعل لها ذلك وليس هي، وحين أستيقظ من النوم في حدود الثانية زوالا، أجد نفسي مغطى بإحكام، أعرف أنها هي المسكينة من قامت بذلك، أخجل من نفسي كثيرا، كيف سأنظر لعينيها حين أُقابلها، أجد نفسي ولد لعينا جدا، لا يستحق مثل هذه الأم الرائعة، أشعر أني صرت علة عليها، وكل ما أستطعت أن أفعله لها، أني أُقبل يدها حين أعود بعد غيبة طويلة أراها هكذا أمي كانت تدعو لي بأن أصير رجلا صالحا في يوم ما

تذكرت جملة قرأتها ذات يوم في قصة قصيرة لم أتذكر عنوانها، عدت أنسى بسرعة، ربما هي أعراض مرض الزهيمر يلوح في الأفق، لم أتذكر سوى تلك الجملة، وهذا ما جاء فيها:

"ربما لا أصلح أن أكون إبنا صالحا، وربما لا أصلح لشيئ عدا أن أتألم دون أن أؤلم من أحبهم"

ربما عليا أن أكون هكذا أيضا، أن أعاني بعيدا عن من أحبهم، أن أتألم بلا أن أُبكي عن من أُعزهم..

أسف أمي إذ لم أحقق لك حلمك البسيط، وأعتذر لك أني سمحت لك أن تغطيني ذات يوم، أنتي أم رائعة، رائعة جدا،

مرت ثلاثة شهور وانا بمدينة الأقصر اذهب الي عملي صباحا واعود مساء ...

اتحدث مع امي هاتفيا

لم افارق امي طوال حياتي الا هذا الوقت

فأمي الاستغناء عنها كفرا والتبرك بها عبادة

في ذكر أمي يجب أن تكون آلهة كي تخلق ذكرى تليق بها..

أمي أقرب نافذة الى الله..

هكذا أراها ..و هكذا تتجلّى بداخلي ..و لهذا أيضا و منذ أكثر من عقود.. لا أتذكر صباحاً مضى دون ان أقبل رأسها أو اجلس معها أنهل من بحر عطاياها..

طقسُ يُعتبر الإستغناء عنه كُفرا ..و التّبرُّكِ به سَعْيًا نحو الكمال .. و لأجل كل هذا فنحن اليوم نطوف حولها ونتذكرهاا ..رحمة الله عليها ككيان مُقدس أستحق أن أُحسد عليه..

فأنا أفوق درويش و أفوق مارسيل خليفة

أنا الذي لا أحن لخبز أمي و لا لقهوة أمي ..

انا الذي لا تكبر فيّا الطفولة فلا زلت ذاك الطفل في حضنها..

حُضنُ كلما دخلته كتبهُ الله لي مِعراجاً..

طابت ذكراك بعدد ما ضحك الأطفال في الكون .. و بعدد ما إبتسمت النجوم في وجه الظلام ..و بعدد كل نسمة فجر أرخت هدوءها على قلوب البشر..!!

فالأقصر

هي المرة الأولى في حياتي. التي أتيت فيها للعمل ..

جئتكي متيما، خجول،ا محبا، عاشقا، طالبا ودك وحنانك اللذان لا تعطيهما لأي كان، فيك عاش وعشقك لحد أنه بال في كل سنتيمتر من

مساحتك، تنازعت معها على عشقه على لأرصفة في الشوارع، وبجانب الكنيسة الشاهقة البناء، وبين مواخر المدينة المغلة وفي سدة البيوت الشبيهة بأبراج حماية، ،

وهو جزاك بأن جعل مقامك لا يحده المحيط الأزراق، بل حملته رياح الخبز الحافي ليصير إسم مدينة يأوي لها العشاق، والراسمون، والمهوسون بالكتابة، وعاشقي التعبير، والنساء اللواتي يسرن بكبرياء.. أحببتك،

ليست مجرد بنايات.. وولاية، ومستشفى، وحديقة مغروس في وسطها شجرة كبرت غصبا عن الطبيعة، حين يحب البشر مدينة يأون لها بالليل ويبكون في ظلامها، ويسردون واقعها، ويبيعون على قارعة طرقها تاريخيه ..

الأقصر في خاطري أحببتك وأثمنى أن أجدك في السماء حرية تغوي الكل ولا تسمح لأحد بلمس فستانها الأبيض المطرر بدمي المسكون بها..

لم أُوفق في الأقصر ..راتبي لا يكفيني وسفيان يقوم بمهام البيت في القاهرة ..فقررت أن أعود لأنني متعب جدا من كل شيء فبعد تخرجي وأملك فيه إلا أنني متعب

متعب كعصفور صغير ضل عشه في يوم ممطر!! فذهب لركن بعيد حتى لا تدهسه أقدام المارة!!

يرتعد بردا ويراقب السماء

" لم أستطيع الصمود لأن البرد إخترق جسدي، وبدأت أرتجف، حملت جريدة مبللة وجدتها مرمية على الأرض مالت حروفها المتقاطعة، قرأت بعض السطور سريعا لم أتحمل ما فيها من تفاهة، رميتها جانبا وفكرت أن أذهب لأقرب مقهى لكني غير معتااد للذهااب الي هذه الاماكن فربما الزحاام سيجعل المكان دافئا،.لم استطع التحمل في المقهي

فخرجت من المقهى فأحسست بالجوع لم أكل منذ الصباح، ربما لاني اشتقت الي طعامك كثيرا!

سأمضي لأقرب مطعم شعبي، لكني أشتهي طعام والدتي، لكن أين سأجده ، فكرت في أكل البيصارة ، فأنا اعشقها وتعودت عليها وانا صغير فلم أجدها

ربما سألغي كل شيئ وأعود لقريتي بطنطا ..

لم أتمالك نفسي من شدة البكاء بمرارة وحرقة..

فبكاءي كان على أقداري انا وامي وأخي

التي رمتنا بهذه البقاع التي كنت أظن أنها طاهرة.

بكيت على هذا الصراع الذي دخلته مرغماً.

بكيت على دمعات أمي التي ما زلت أذكرها.

بكيت على فراق احبتي فقد زاد فراقهم من وحدتي.

بكيت على أحزاان أمي وتحملها للصعااب

بكيت وبكيت ثم بكيت متذكراً مواجعي ومستشعراً آلامي التي كانت مدفونة بقلبي الصغير الذي عجز عن احتوائها وتراءت لي أحلامي البريئة وقد تلاشت في مهب الريح فقد أرغمتني الظروف أن أتجاوز

منطق الزمن ليفوق عمري عدد الأيام والسنين فلم أعد ذلك الفتى الذي يكاد يبلغ وقد دخلت بؤرة الصراع بين الحقائق والأباطيل لأجد نفسي كبرت قبل الأوان.

عملي ليس له عائدا على وخصوصا اني تجاوزت السابع والعشرين ولابد لي من التفكير ساعود الي القاهرة

جهزت حقيبتي وتوجهت الي محطة المسافرين

جلست بمقهى محطة الحافلات بالأقصر ، أقتعدت كرسيا منتظرا أن يحين موعد وصول الحافلة المتجه للقاهرة .. الساعة الخامسة مساء، لازال أمام وصولها ساعة وبضع دقائق، هذا إن لم تتأخر، يقولون أنها خارجة عن إرادتهم، ووجودنا على هذه الرقعة الجغرافية خارج عن إرادتنا أيضا

أتصفح هاتفي وأصارع الزمن ..

المسافرون تائهون في عالمهم الخاص ينتظرون الحافلة رغم أنا حافلتنا تقتل أكثر من أن توصلك لوجهتك، تهت في خيالي وأخذني النوم قبل الحافلة،أخذني لي كابوس لم يراودني من قبل

حلمت أنا الحافلة انقلبت بنا في منعطف الطريق القريبة لمدينة الأقصر ، وفارقت الحياة، ومات جميع الركاب عاد السائق قفز وأصيب بكسور خطيرة.. بلغ لأمي خبر موتي وحملت المسكينة نفسها وتحملت تعب السفر لمدينة القاهرة كي تستلم جثتي.. وجدتهم وضعوها في ثلاجة الأموات وتشوه وجهي بفعل إرتطامه بالزجاج، صعب عليها التعرف علي من بين الجثت الكثيرة.. أصرت ان تستلمني، لكنهم طالبوها بدفع المصاريف، قبلت المسكينة وعادت للقرية كي تبيع دجاجاتها وعادت لهم بثمن التكاليف.

لم تصل موعد رحلتي بعد، كان مجرد حلم، لكن ان وقع هذا، أرجوكم أخبروا أمي بأمران :

أني أحبها كثيرا

وأن لا تدفع لهم جنيها واحدا، ولتتركهم يدفنونني أينما شاؤا، وتدعو لي هي برحمة ولتسامحني أينما دفنت...

ستنقل لكم تلك المذيعة المتبلدة خبر إنقلاب حافلتنا اليوم وهي تبتسم كعادتها ..

وصلت والحمدلله القاهرة بعد ثلاثة أشهر وانا يائس محبط

لم أجنى إلا فراق أمي وأخي الصغير سفيان ..

كيف يمكننا أن نعيش هذه الحياة بسعادة، كيف يمكننا أن نبتسم ونلقي التحية، نتفائل ونوهم أنفسنا، فالوهم شقيق الحلم، كل منهما يمنحنا وقتا إضافيا للعيش، ولولا أحدهم، لعثرت على الكثيرين فارقوا الحياة، وحين ستسأل الطبيب عن سبب وفاتهم، سيكتب لك سبب موتهم على ظهر ورقة : "لقد استيقظوا من الوهم وماعاد الحلم يراودهم"

أبناء "هذا الكوكب " يحلمون كثيرا، وحلمهم بحجم ورقة الشجرة الخضراء ،،

يحلمون كثيرا، وأحلامهم يرسمونها دون خوف من دفع الغرامة، أو من عيون متلصصة تراقبهم ، الأمل قطعة من السكون، جزء من الهدوء والإستكانة والخوف، الخوف من كل شيئ يحدق بهم، أقول لهم من منبري هذا : لا تهربوا أصدقائي، الأوطان رحيمة بكم، بل إصرخوا وابحثو عن الأمل

هم يحلمون بربع حياة، بربع عيشة، وربع أحلام، لكنهم يحلمون..، يتقاذفون بأحلامهم

يحلمون بالليل والنهار، حين تكون الشمس ساطعة فوق رؤسهم، أو حين تميل الشمس ويأتي المساء، الحلم ساكن معهم، شفيع لهم، كدواء يداوي الغبن المسيطر على مشاعرهم، يؤلمني حلم الذين ينتمون إلى هذا الكوكب!

- إحلموا رفاقي، لا تجعلوا لحلمكم حدود، فالحلم وحده ما لم يستطيعوا له سبيلا.

وصلت البيت أحتضنت امي وأخي فرأتني فأحسست بما أشعر به من كبتٍ وعنتٍ وتعب فلم أجنى شيئا حتى مصاريفي لم تكفي يومي ..

دخل غرفته ليلا لكي يستريح

لكن جسده مسترخي وعقله شارد وواهن

ليله حالك طويل

ليلك حزين يا مُهند

كيفَ تبدو و قد أتعبكَ الخطو للموت !!

تعالى لنستريح ، نتسامر كما يفعل الخاطئون بعد عودتهم من الحرب!!

نصلبُ الليل الطويل ونرى كيف يتوق للصباح ، إلى أن تأتي الشمس بكل وضوحها!!

واقول لكَ ، هل أدركنا ما هي جدوى الحياة

فتقول لي: تعبتُ من إحصاء الندوب التي داخل قلبي ، دع الليل يمضي هذا الساهر حارساً لأحلام الناس !!

نسينا حصتنا في الوقت يا صديقي !

فحينا من الدهر لم تكن لتتجرد من نفسك وتطوف حول أمكنة ذكرياتك الضائعة في الزمن الضائع!!

حين من الدهر لم تكن لتتحسس زوايا الخناجر المغروسة في قلبك من شدة الأوجاااع !!

حين من الدهر لم تكن لتتجمع أيامك مشتبكة مثل أحجار هرم خوفو وأنت مجبر على حملها وتحملها مثل من حملوها من ذي قبل !!

حينا من الدهر ستدرك أنك مجرد ذكرى وحلم!!

أحلامك ستراودك كفقاعة الصابون، تنفخها بريح انفاسك وتتلاعب بها حين تنتفخ وتعلو وحين تنفجر

نجهل أنها لأجلنا إنتفخت، وبأنفاسنا علت وانفجرت.

قديم...

مهند أرهقته الأحداث يشعر بالكآبة

جد واجتهد وتخرج وعندما ذهب ليعمل لم يكفيه ما يعينه على درب الحياة..

لكن دخلت عليه أمه تطمأن عليه

وقالت له يا بُنى خليها علي الله هو حسبنا ونعم الوكيل

"خليها على الله" جملة أرددها دائما وبستمرار..

أقولها حين يعترض طريقي خصن شجرة الزيتون، فأحاول تفاديه بالميل جانبا.. فأرى الديدان قد عصفت بمحصوله، وشكلت إعوجاج بثماره، وجعلته يحتضر ببطئ غصبا عن الطبيعة.

اقولها حين أرى دودة تضعف العوادة بلا سبب، وتحاول منع المستضعفين من ضرب حباته بالقصب، و يعرضوا مواهبهم في تسلق أشجار المنحدرات والهضب.. أقولها حين أجد نفسي مضطرا للدخول في نقاش تافه مع شاب متحمس لفكرة ما.. فأهز رأسي مخبرا إياه أنه محق، واضطر للعوة للبيت بضغط دم مستقر. ومكتسب مناعة قوية ضد التفاهات.. أقولها حين أتذكر من كانت بين يدي واصبحت لغيري وانا صامت صمت القبور..أقولها حين أجد غيري نال ما حلمت به بجدارة وانا لاأحرك ساكنا..

أقولها حين أركض وراء المجهول وأتمنى تحقيقه، وأخطط بدراية كبيرة لأمر كان مشروع حياتي وانتهى... أقولها حين يعتصرني الالم على سر كتمته بقلبي لأعوام وما كان عليا إفشائه، وحب كان مقدر لي العناء فيه طويلا وهو حتما مقضي لغيري وانا كأعمى فقد بصيرته.. .أقولها حين أجد صعوبة في الإقبال على الحياة بنفس الحماسة السابقة حين كنت صغيرا، فأحزن بشدة..ثم أمسح دمعي ببتسامة كاذبة لعلها تخفي انهياري... لأرسم الكذب في اخبث إبتسامة أقول فيها أنا بخير .

خليها على الله هو حسبنا ونعم الوكيل..

يا مهند ..

عِش حياتك الطبيعية البسيطة مبتسم دائما.. حتى لو كانت بتسامة كاذبة وغير صادقة، فهي تخفي إنهيارك.

تأمل.. وتمنى الغد أفضل، رغم أننا مقتنعين أن هذا الغد لن يكون مفيدا، لكن انتظر، واستبشر. حياة الرفاهية حتى يأتي اليوم المشهود، وتقلب فيه موازن القوى لصالحنا ويكون يوم الحساب عسير..

نرسم نحن البداية، والنهاية يرسمها الواقع الحزين..

أنت لست وحدك في الحياة..ولن تستطيع أن تستمر دون البشر..

فهناك من هم كأوراق الشجر..نقابلهم نعاملهم..لكنهم لا يصمدون في الخريف..والقرب منهم مخيف..

وهناك من هم كالورود..حتى وإن غابو لهم في القلب وجود..

أصناف البشر كثر..كالماء المنهمر..منه العذب والمالح..ولكن..

شدة القرب في الحالتين...غرق..

وهناك أصناف من البشر تقترب من القلب رغم بعد الأماكن..

ويحركون في قلبك الساكن..بكلمه أو سؤال.ورقي المقال..

وهناك من يقترب..لجعلك فقط تغترب..

ومن يستطيع أن يعدد البشر..منهم الخصب وفيهم الحجر..

وفيهم الصامت.والناظر..والمتحدث الساكت.والذاكر والقانت..

وعندما نتحدث عن البشر لا ننسى أننا عن أنفسنا نحكي..

فنحن من هؤلاء البشر وبيننا صفات مشتركه نحملها سويآ..

نحن لانعظ ولانصف..ولكنها تجارب عشناها وأناس قابلناها..

صفات أبهرتنا..لكنها قتلتنا..

وآخرى أدهشتنا لكنها أيقظتنا..وعلمتنا..فتركت أثراً فينا ..

كان لمُهند أحلاماً كبيرة

بعد معاناة أمه التي كانت تقتات الخبز وتعطيه لهما هو وسفيان أخيه

لم يحقق حِلم أمه

ترعرع وسط قرية بالكاد يصارع أهلها الزمن لتوفير كسرة خبز، لم يكون حلم مُهند كبير حينما كان صغير، حلمه بلعبة شاهدها في يد طفل على التلفاز، كان دب كبير الحجم لم أتبين لونه لأن التلفاز كان بالأبيض والأسود، رحل واحتضن الوسادة بذراعه ليلا وأتخيله هو الذي يدفئ صدرهُ المرتعش، وبعدها لم يعد الدب يستهويه

صار الحلم حذاء تشتعل بجنابته لأضواء ما إن تتمشى على الطريق، رأي إبن أحد أقارب والده .. المهاجرين بفرنسا الذين كانو يحلون بالقرية كل صيف، كان يراهم مختلفين، لهذا يتحلق حوله..ويتحسس بشرته .. ويمرر أصابعه بين خصلات شعرهم الناعمة، ينطقون حروف الدارجة بصعوبة، تجعلنا ننغمس في موجة من الضحك على حرف (غ) وهو يتمرمد بين شفاههم الغير المشققة بفعل البرودة، نمت أطرافي.. وتعدى الحلم الدب والحذاء المنير، صار بحجمي الجديد، لم تتجاور أحلامه حدود ما كان يراه ويثيره ويجعله يدخل في عراك مع والدته التي تقف عاجزة عن تحقيق ما حلمت به، أحلامه كانت تشعرها بالألم لكونها لا تجد لتنفيدها سبيلا..، وحدها تلك الدراجة التي رآها جميلة لقريب والده ...)، هي ما حققت له ، والبقية كانت عبارة تقولها أمه .(إنشاء الله

يا ولدي) كفيلة بأن تخرجه من نوبة البكاء التي يدخل فيها كي يبعث مشاعر الأمومة المعششة في قلبها،

صار مراهقا وأضحى الحلم فتاة كالتي نراها على صدر مجلات نأخدها من بائع كتب يحل بسوق الأسبوعي كل يوم ثلاثاء، وسيارة فاخرة سوداء اللون يضعونها في الصفحة الخلفية من نفس المجلة، وحين يستبد المرض بأحد عائلته يتحول الحلم لأن أكبر بسرعة وأصير طبيبا يداوي ألم ذلك الشخص،

هكذا تغيرت لأحلام بتغير المشاعر، لم يكن هناك حلم ثابتا، كانت أحلام تتلاشى بفعل الزمن،

حلمت أن أجتهد في الدراسة وأصل للباكلورية وأحصل على الشهادة، هي تذكار عبوري نحوى المستقبل، هكذا تخيلتها، وتخيلت أنه أنصفني الحظ في تحقيق حلمي، ودوت الزغاريد في المنزل، وحضرت والدتي حفلة على شرفي.

لكن تغيرة الأحلام بتغير سني، وكان أكبر حلم يراودني هو رغبتي أن أكون ملك مصر ،

تولدت لدي الرغبة حين لعبت دور الملك ورفقة أصدقائي في القرية ليلا في المقبرة، أنا الملك وهم الجواري، إستطعمت المملكة وإن كانت مجرد شغب وتسلية، لكن ذالك الإحساس جعلني أكتشف لمذا يتشبت الملوك بالكراسي ومستعدون أن يقتلو ويسجنوا كل من يهدد بقائمهم، فقالو لي هذا الحلم ممنوع في هذه البقعة الجغرافية، فقلت لماذا؟ فقالو نحن دولة نظامها ملكي، وأنت لست سليل في لأسرة تتفرع من شجرة النبوة، وحلمك هذا لن يجلب لك إلى الإعدام شنقا، أو كرسي مكهرب بعد أن كان حلمك كرسي وثير، اليوم تحولت تلك لأيام لمجرد ذكري نتناقلها بيننا حين يستبد بنا حنين الرجوع إلى الصغر، صار الحلم واحد فقط وثابت.

أن أبتسم كمواطن مصري.

لم يجد مهند من كل هذا إلا السفر لكي يبحث في مناكب الأرض عله يصل إلى مراده ويريح أمه من آلامها واحزانها التي شهدتها وقت ما كانت تنفق عليه هو وأخيه ....

لقد تبددت أحلام مهند ، مما آلت إليه أمور الواقع! أصبحت أحلامهُ كسراب بقيعه، يحسبه الظمآن ماء !

ان مهند جيل جديد صاحب عقلٍ مستنير ،وطباعٍ خاصه! الآمال أمامه واهية ،لكن حجم تطلعاته يفوق سقف الحياة ،خياله وأفكاره لا مثيل لها ،لكن إمكانيات واقِعه تطارده '

حماسه شديد وقدرته عاليه تحلق في السماء '

اجواء المناخ لا تتسق مع هذه الرؤية الجديدة '

لان الطقس سيء ،ولكي تنبت ثمرة الفكرة، لابد من طقس يتناسب مع تطلعات افكاره !

ومع ذلك يضطر إلى تعايش المناخ بجميع اوضاعه

ومآسيه ،مع ما يمر بهم من وقت عصيبٍ في تاريخ حياتهم !

ولا عجب عندما تجده يريد أن يتركوا مناخه ! إلى مناخ آخر الكل يتمناه ويحلُم به !ويبذل الغالي والنفيس من اجله!

تتوق نفسه الى ارض الاحلام...

ولا عجب في بذلِهم كل ما يملكون وتحمله عنت الطريق، وامواج البحر المتلاطمة ،وسواد الليل الحالك الذي لا يعلم طلوع فجره سوى الله!

هو يعي يومئذٍ ان حلمه وتطلعاته من المحتمل بل مؤكد ستتفتت لو ضل طريق الخلاص !

وعندما يصل إلى طريق البداية وأرض الاحلام كلُ يبحث عن ضالته المنشودة التى ناضل كثيرا من

أجلِها .

فالاهداف متعددة وأسقف الآمال عالية.

ان أعبث ما في هذه الحياة عيش الإنسان بلا هدف! ولا مقصد ولا منتهى ،ولابد من المشي في مناكب الارض، والبحث ومن هنا تكون الحكمة !

إن معارك الحياة طويلة وشاقة، فلابد من التسلح بالصبر والمثابرة ،وبذل كل ما هو غالي ونفيس، من أجل الوصول إلى النهاية المرجوة ،والبداية المبتغاه! التى يتمناها الجميع بالرغم كثرة المثبطين، وعائقوا

طريق النجاح، الا عدم النظر لهؤلاء والسير قُدما إلى الأمام يُغيرمجرى حياتهم إلى حياةٍ مليئة بالأمل والعمل والكفاح والفلاح والنجاح .

مسك جواز سفره بيديه .

وبين الفينة والأخرى، يضمه لصدره كطفل صغير، يشعر بالأمان، وبظهر جواز سفره يدغدغ شرايين قلبه ويهمس لهم أني متوجها للسفر

ألقي نظرة على هاتفه، فيلمح صورة أمه من خلف الزجاج الفاصل، ينظر لها بشتياق كبير.. ويعلم أنها تنتظر بلوغ مراده هو وأخيه على أحر من الجمر، ولن يهنأ لها البال إلا حين أن تراه سعيدا ...

جلست وجلس الضمير بجانبي على كرسي فارغ،وفي قررات نفسه ظن أني سأغادر البلاد وأذهب لبلاد أخرى يحظى أهلها بالحرية والعدالة الدمقراطية، وصار يؤنبني عن هجرتي من البلاد.. وتخلي عنها، وتركها تواجه مصيرها وحدها بين أيادي اللصوص، فسألني:

يا مُهند أين تذهب؟

ولمن ستترك موطنك الذي أحببته كحب قيس لي ليلة؟ وستمر في طرح الأسئلة..وأنا أصغي السمع له، وفي ذهني تتوالى الصور لوطن ظالم

نظرت للضمير الجالس بقربي وهو يخطب عليا خطبته العصماء، والتفت لصورة أمي الطاهرة من خلف الزجاج، لمحت بريق في عينيها يقول أنها إشتاقت لي كثيرا..

فنظرت للضمير مجددا نظرات سخرية واستهزاء، سمعت صوت المنادية تنادي برقم الرحلة التي سأسافر فيها، نهضت من على الكرسي بكل ثقة، وركلت الضمير بعيدا بركلة قوية، وقبلت صورة أمي الطاهرة وأغلقت هاتفي على أمل اللقاء بها .. وأنا ماضي نحو بوابة الخروج من هذا الوطن ..

نحن عائدون لما وراء الصفر، والدنيا تتغير ونحن نسير ببطء، ولا عزاء لنا سوى التسلح بالأمل وهو أيضا يتلاشى بالتدريج كدخان "الكيف".

إننا نخطوا باتجاه الموت منذ ولادتنا... والكل يراقب ويتطلع كما يتطلع جائع لقطعة خبز معلقة بعيدة عن متناول يده فيرتكن للصمت لعله ينسى، وبين الصمت والنسيان، سكين يقتله .

في بلادي التي قيل لي عنها يوما أنها وطنا دافئا يلسعنا بهوائه النقي حين نكون أحياء، و يلفنا برفق في كفن حين نموت...

في بلادي الذي حمل فيها أجدادنا بندقيتهم وذهبو حافين القدمين بين الجبال، غير مبالين بوخز الأشوك المغروسة في أرجلهم...

في بلادي يحلم طفل صغير بلعبة جميلة فيجد بدلها صفعة يد أباه القوية، فيد الأب قصيرة، لكنها تصل لخده الصغير و تصفعه خوفا من أن يكبر الحلم و يفقس بيض عقده في روح لازالت هشة...

في بلادي تشرع الطرقات وتغلق الحفر ليلا وتجبر الأيادي على غرس شجيرات بجانب الرصيف غصبا عن الطبيعة.. يفعلون ذلك كي يمر طفل صغير لوحده...

أراد سفيان يُغير من نفسية أخيه فعرض عليه السفر إلي مدينة الإسكندرية على نفقته حتى يخرج مهند من هذا الحزن الذي فيه بسبب سوء حاله ووضعه النفسي السئ

فذهبا وتوجها صباحا الي الإسكندرية وما بين الإسكندرية وقريته التابعه لمدينة طنطا سويعات ..

فوصلا وكان أول مكان هو البحر

جلسا هو وأخيه امام البحر يستنشقا هواءه النقي

في تلك اللحظة بالضبط شعرت بالجوع وهواء البحر لا يغني ولا يسمن من جوع، في تلك اللحظة إنتهى أخي سفيان من طهي الطعام بعناية فائقة، فحملته واقتربت من البحر قليلا، ووضعته على الأرض مستنشقا هو أيضا هواء البحر، قلت لأ بأس إن التقطت صورة تذكارية أستعرض فيها ثروتي، فموسم الصيف على البحر مثل جل المواسم، الكل يعرض بضاعته، أنا أيضا سأعرض بضاعتي، كما ستعرضها الكثيرات والكثيرون، وما إن استوت عيني مع الكاميرة إذ بموجة ماء مالحة هدمت كل ما خططت له، فأدركت وقتها أن إلتقاط الصور لا يحمل إلا الشماتة لصاحبه، خصوصا إن كان هد ير البحر الغدار خلفك، فقررت وقتها الإنسحاب في الدقيقة التسعين من الجولة الثانية بهزيمة، وبطن فارغة، وتركت البحر وحده يفوز بلا أي مشقة أو تعب منه...

لكن مهند بالرغم من كل هذا هو وسفيان يحب وطنه حبا جما

حبا شديدا ..

أحب هذا الوطن .. أحبه بفقره، وبؤسه، ربما لأني أمي زرعت في الحب

لكن وفي قرارات نفسي أجدني مشدود له، كجذع شجرة الصفصاف العملاقة، أحببته وأنا صغير، وما زلت أحبه، وليس للأمر علاقة بمقدار ما منحه لي، أغلبية الذين يحبون هذا البلد من أجل المال، وبقدر ما أعطاهم يزداد حبهم له يوم بعد يوم، عكسهم أنا، أحبه بلا مقابل، وما يشفع له عندي، "أمي "، "وأخي "، ذكرياتي الكثيرة فيه، ألبوم من الصور والذكريات عالقة بذاكرتي، من يوم استطعت أن أميز الأشياء بأسمائها، أو من يوم فتحت عيني عن الحياة، وجدت نفسي في قرية مضروبة بالكاد يسارع أهلها الزمن لتوفير كسرة خبز، ترعرعت فيها، وتربتها عالجت أصبعي المجروح كثيرا، ومياه بركاها الضحلة خففت عليا وطأة حرارة صيف حارقة، كنت وأنا صغير ألوذ لبركاها كل ظهيرة، وأرمي جسدي بمياهها الملوثة، فعلت ذلك مرات ومرات، دون أن تصيبني أمراض جليدية، نبهني الطبيب بالإحتياط من المياه الملوثة كي لا أموت مبكرا..

أحب المكافحين والمجاهدين .. في وطني الحبيب ..

ومن هنا تنتهي رحلة مهند وسفيان وعادا إلى مدينة طنطا في المساء

فقرر مهند أن يسافر إلى الدولة التي كان يحلم بها بحاثا عن طموحه ...

أراد أن يسافر. الي هذه البلد التي يحظي شعبها بالاحترام .. أوروبا..!!

فسال أحد تجار السفر الذين يهربون عبر البحر إلى أن لاقي "الدهشان" وهو رجل معروف في مجال السفر لأوربا ...

بشرط إعطاءه مبلغا شبه كبيراً من المال ..

فما كان منه إلا اعطاء الدهشان إيصال أمانة على مهند بعدما يصل فسيُسدده فباعت والدته خاتما ورثتهُ عن أمها ..فماذا تفعل القشة في الماء ...هو يحتاج مبلغا ماليا كبيرا..

وجاء موعد السفر عبر البحر من الإسكندرية أيضا ...

فودع مهند أمه وأخيه واتجها الي الإسكندرية ومنها عبر البحر

مع ترتيبات الدهشان ..

فكانت الفاجعة....

ركب مهند البحر بين حياة وموت ...

أبنائه يموتون جوعا.. والحاة تمضي عكس دوران الزمن الطبيعي..

- تذكر كلام صديق له في الأقصر ؟

ما العمل إذ أردت أن أنعم بحياتي كإنسان؟

- يؤلمني فراق أمي كثيرا.. ماذا عليا أن أفعل يا صديقي ؟

-- إحمل جسدك الخائف من المجهول، ومعه أحلام والدتك، ولا تنظر لوجه أمك وأنت تغادر.. كي لا تضعفك دموع خوفها عليك، وتحدى الخوف.. وتحدى الطبيعة؛ وتمسك بخيط أمل سهل الإنقطاع.. إما أن تصل؛ أو تموت غرقا وسط بحر عميق تسكنه حيتان لا ترحم أبدا..

- أني أخاف أن تكون نهايتي كنهاية السابقون على هذا الخُطى من قبل ..

مهما ستكون النهاية إختار الذهاب يا صديقي..

اعبر الدرب للنهاية.. مهما كانت العواقب..

ستكون أرحم من البقاء هنا.. والموت هنا.. والمرض هنا.. والزواج هنا..

- شكرا جزيلا لك يا ناصحي.

وداعا.. واعتني بنفسك.

ذهب مهند المسكين ووضع قبلة الوداع على رأس والدته المسكينه ، وأخيه سفيان وذهب متكدسا في قُريب صغير تحت جنح الظلام الدامس.. فانقلب القارب في منتصف الطريق.. وغرقت الأجساد.. ولم تظل سوى قناني الماء البلاستيكية كشهود على قبور المحتضرين.. وبلغ الخبر لأمه.. فحملت جسدها المرهق، وجائت باكية تنتظر قبالة البحر جثة هامدة، تنتظر ليعود بعدما اوهموها بأنه سيعود عبر البحر مثلما ذهب....فأصبحت رحمات كل يوم تنتظره على حافة البحر..

فيكون البحر الذي حدثه عنه صديقه قد قتله مرتين..

مرة. حين تخلى عنها وعن إبنها

ومرة. حين أغرقه في البحر..

ثمنت المسكينة أن تدفنه لتزور قبره كل جمعة، وتبكي..

تبكي على فراقه، تبكي على أحلامه الغارقة في قعر المحيط.. تبكي عن شبابه المسروق.. تبكي عن وطنه الذي وهبه للموت والهلاك...

رحمات لم ترى يوم نورٍ في حياتها

حياتها كلها بئيسة حزينة ..مات والدها وهي ابنة السادسة عشر

ماتت امها وهي صغيرة

عاشت يتيمة حزينة

قاست الأهوال

ظلت تنفق علي اولادها إلى أن أصابها مرض القلب اللعين

تفانت كثيرا من اجل اولادها كانت تعمل في الحقول عند الفلاحين ..

لم يمر عليها يوما الا وتبكي

والان مات فلذة كبدها ..مات عمود فقرها ..مات نور عينيها ..مات مهند ابنها الكبير ..مات شهيدا من أجل لقمة العيش..مات شهيدا من أجل حرية العيش ..مات من افنت شبابها من أجله

لم يبقى الا سفيان ..

سفيان حزين بائس مات اخوه الأكبر أصبح وحيدا شريدا فماذا يفعل لم يتبقي من كل بيته الا هو وأمه المسكينة ..ليلها حالك طويل ..يتجمع فيه احزان مؤلمة وصرخات محزنه ..

حدثت وناجت نفسها رَحَمَاتْ المسكينة

وقالت ...

وماذا بعد أيتُها الحياة ضلننا دروبك ..وتعثرت أقدامنا وسط الطريق ..بحثنا وصِرنا فلم نجد فيكى خِلاً كان أو صديق ..فصِرنا نودع كل يوم املاً ومن أحلامنا نستفيق ..

من غيرك يا إلهى يمكنة أن يذيح كل هم وكل ضيق..

نهاية تجرُ بداية .. تصفية للماضي و أُمنيات للمستقبل .. خيبات ذهبت ووعودٌ قادمة ..

أمطارُ وداعٍ.. تغسل كلُ آلامٍ و أوجاعٍ طيلةَ العام...

أمطارٌ تغسل القلوب والعقول لتُرسلها بين أحضان الثلوج ..

هذه الليلة العصيبة على يا الله ..

التي إنقطع نورها ..فلم يُنيرها إلا نور السماء ..

هكذا كانت وفاة إبني قاسية شديدة ..رحمات الله على ابني وأُمي وابي

والحمدلله ليس كل منعه حرماناً ..

وليس كل عطاءه اكراماً..

فالحمدلله على المنع والعطاء..

مسكينه تعُد في آخر أيامها

آخر ما تبقى النذير بمخزونٍ جديد ....

مضت السنة ..والعُمر مضي..

تسارعتْ ثوانيه .. دقائقه .. ساعاته..

أصبحت العودة مطلبا تكتسيه الإستحالة..

هل كانت الأوقات السابقة مؤلمة هكذا أم أن البشر صاروا يُقدسون

الماضي وفَضّلوا ألوانه الباهتة..

كانت سنوات عمري مختلفة عن سائر سنوات البشر...

ربما كان فيها بعضاً من التيِه ....

هُناك من دفع الكثير من عُمره ينتظر المُضي حتى ينال ما يطلب ..ومع ذلك فهو مُكبل بالأغلال ..

وهُناك من الغارمين ينتظر الفرج ..

وهناك من يريد إيقاف الزمن حتى لا يُصيبه الهِرم..

وهناك عالقٌ لا يريد هذا ولا ذاك..

فلا أدرك لذة سالك ولا طريق عارف..

سنوات عمري امتلأت بالأحداث الحزينة منها أكثر من السعيدة ....بل لا يوجد فيها سعادة ..

سنوات عمري اهتززت فيها أشد اهتزازاً من ضَعفٍ وهوان..

مضت من عمرنا ورحلت معها ذكريات حزينة وآخرها حديث ابني ...

فاتت ولن تعود ابدا ...

أخذت معها أشياء وتركت لنا أشياء....

تعلمنا فيها أن لا نُعطي كثيراً لكي لا نُخذَل كثيرا ....

قررنا أن لا نتعلق كثيراً بالأشخاص لكي لا نبكي كثيراً بعد الفراق....

تمُر بنا السنوات كلمح البصر ....نزدادُ فيها سناً وهرما ...

ولكننا قَلما نزدادُ فيها حرصاً لأننا دائما نقع في نفس الخطأ مرارا وتكرارا..

فأُرهِقّنا وتساءلنا ...

هل سنستمر في الخطأ حتى تفارقنا الأيام

أم نتعلم من أخطائِنا قدر المُستطاع .

لم يبقى في العمر متسع لكل هذه الأخطاء..

لم يبقى في العمر متسع يا رحمات ...

لقد خسرتُ رحمات خسراناً مبينا ..مات إبنها ..إنكسر الجبل الذي كانت تحتمي به ..

زالت بركة الحياة ..أصبحت في مُعترك الدُنيا ترى ما لم يراهُ أحد

انقشع نور الحياة وحلَّ الظلام الحالِك ..

شوقٌ مُميت ..فقدٌ شديد ..حنينٌ مُلازم..

وحياة أُخرى تُنشلك من الفرح ..وتُفقدك لذة الاشياء..

يلهمها الله الصبر إيماناً بأن ابنها مهند إلى جوار كريم..

وفي فضل أعظم.. وراحة لا تشوبها عكارات المرض والألم والأحزان..

ذاك ما يُرمم شروخ قلوبنا عند مصائب الفقد الأليمة..

لم تشعر بألم ما تَحمله ابنها عنها إلا بعد رحيله ..

فضلاً عن ظهره الذي إحتمل عنها سياط الزمن ..

لا نملك أمام قضاء الله إلا سؤال الصبر والثبات..

أحياناً يُخَفف عنها ألم التيه ..لكن تُصيبها لوعة المسافة ..

ففيضان الدمع الصادق : راحة .. للمصاب ومحبيه ..

تغيب الأجساد وتبقى مكانة الأرواح.. والبُعد لا يمنع دوام الودّ..

تنكسر الأقلام ..وتجف المحابر ..والخلود للكلمة والحق..

كأن آبائنا رحمٌ أُخرى نظل نرتع فيها منعمين بعد رحم أمهاتنا

وظهرٌ يمنعُ عنّا ريح الأيام وبرد الليالي ..رغم ابتلاء المرض فمجرد أنفاسهم في الحياة أَنسٌ وبركة وأمان ..

صبرك الله يا رحمات ...

رحمات..

وقِفت وحيدة مزهولة من كل حدثٍ وصوب

تبذُل النفس ..

فى سبيل النور الذى تمنحه للآخرين..

دون ضجيج ودون طلب للثناء والشكر ..

يستنكر تضحيتها كل ذى طبع ردئ جاهل ..

وقد توصف أحيانا بالسذاجة..

لكنها قانعة بأن قيمتها في عطائها..

وان القابعين الآمنين في الادراج ..قد تجف اجسادهم دون عطاء ويموتون دون ظهور أو نور .

لحظات الاستسلام واليأس والقبول بالواقع مُرهقة ..

تشعُر وكأنك مُخدَّر لا تقوي علي فعل اي شيء منجرف مع التيار.. غير آبه بما سيحدث.. أو بما حدث ..

تجد نفسك عالق في حاله لا تعلم ماهي ولا مداها ..

حاله من الانفصام من جهه ..وتقاتل وتصارع الحياه من جهه اخري تارك نفسك لتيارها..

تتمني زوال عقلك حتي تعجز عن التفكير كما تتمني ان تفكر وتجِد حلاً لما انت فيه. .

وهنا تحديدا وفي هذه الحاله يكون القلب في حاله ركود مغيب..

أو بمعني أدق لايعمل فهو اصبح مُلبَداً بالغيوم ..

وبات ضعيفا لايقوي إلا علي بضع نبضات تبُث لك الحياه ..

حياه خاليه من الروح ..

لعل أبطال هذا الزمان من وجهة نظري ..

هم أولئك الأشخاص الذين تراهم بين الناس في الشارع ولا تكاد تعرفهم.. لا يرتدون دروعًا..

ولا يحملون سيوفًا.. ولا يطيرون في الهواء..بل يمشون على الأرض ويعملون ويأكلون ويذهبون ويعودون.. لا تكاد تميّزهم عن غيرهم..إلا أنهم لا يزالون يبذلون الجهد في الصمود أمام أنفسهم.. بمبدأ اتباع وتطبيق ما يبدو لهم أنه حقٌ وصوابٌ.. ولو على أنفسهم..ولو في غير صالحهم.. ولو على غيرهم..

ولو لامهم من لامهم.. ولو خسروا ودّ من خسروا..

ولو نالوا عداوة من نالوا..إلا أنهم يكفيهم كسب أنفسهم.. كأنهم يجدون في ذلك انتصار محارب نجا بنفسه من السقوط في الوحل.. أو كأنهم يجدون في ذلك نشوة شجية..

أو لذة أليمة!!

كلنا نبحث عن السعادة ولا نجدها ...

الواقع مؤلم ..والظروف كثيرا تقهرنا ولا نستطيع قهرها...

نتمني القليل ممن نحب ولا نجد هذا القليل...نعاني دائما بصمت...وتنفجر صرخات قلوبنا بكتمان....نعيش علي امل ... مجرد أمل...في أن الغد المجهول سيكون أفضل... لكن تظل حيرتنا تؤرقنا دائما... فنحن لا نعلم ما سيأتي ... ولا نضمن الغد .. وأصبح فن الفضفضه المريح ليس له فعالية ...

أنه مازال هناك قلوب تستشعر نبض حروفنا الحزينة ... حروف نغزل منها مشاعرنا وخواطرنا ..

نلقي فيها كل جراحنا وهمومنا ... باحثين عن ملاذ يآوي افكارنا الهائمة في بحر الكتمان ... لعلنا نجد روح تشبه روحنا فتكون هي الوطن المجهول الذي طالما حلمنا بوجوده في عالم تحكمه المادة والسلطة والصراعات الجماعية والفردية ... فأين نجد هذا الوطن .. وطن يخلو من النفاق والأطماع الدنيئة...

وطن كل ذرات هوائه معبقة بالحرية والسلام ...

وطن يوجد في قلب كل انسان ...

وسنظل نبحث ... وسنظل نحيا علي ضوء الأمل القادم ...

وقد نتوه أحيانا وسط الدروب ..وقد نضيع في زحام الحياة.. وقد نضل طريقنا عندما يدركنا الظلام ..

هكذا هي لحظات العمر.. وهكذا تمر السنين بلمح البصر فتتأرجح أيامنا بين البقاء والرحيل .. بين السعادة والحزن..نعيشها بكل ما فيها..ونعجز أحيانا عن احتوائها..ترهقنا.. تؤلمنا ..تتعبنا.. وتجعلنا نتخبط في زحامها..نحاول ادراك الطريق.. وقد نصل أحيانا ولكن..

ما أقسى تلك اللحظات التي نشعر معها بأننا فقدنا الطريق الى ذاتنا.. وفقدنا كل شيء جميل ..لذلك أصبحنا عاجزين عن ادراك هويتنا..جرح عميق يحفر جدران قلوبنا..يغرس الوجع فنجني المرارة..ولكن الى متى؟ألا نستحق لحظات من حياتنا نحصل بها على الحب و الصدق و الوفاء..والاستمرار في ظل الأمل ؟هل نستطيع ادراك الذات في اعماقنا ؟ هل نستطيع استرداد ما فقدناه من أعمارنا ؟ هل نستطيع أن نعيد ترميم ارواحنا.

الوحده أصعب شعور يمكن أن يمر به الانسان..

ذلك الشعور الذي يقتلنا ونحن أحياء..

ولا يترك لنا أي استمتاع بالحياة التي نعيشها ..

الوحدة ليس فقط أن تكون وسط العديد من الناس حتي ولو كانو أهلك .. فلن ينزعو ذالك الشعور ..لأنه شعور مؤلم..

الوحدة هي التي تأتي من حبيب غادر حياتك وتركك وحيدا .. من أم ماتت وتركتك تصارع الأمواج والبحور العاتية ..من أسير أسرته ظروف السياسة العقيمة ..من مهاجر هاجر البلاد كرها رغما عنه ..من حبيب هاجر البلاد

طوعا بحثا عن لقمة العيش ..من نفس هجرتك وتركتك

وتخلت عنك وأنت لا تدري .. وأنت تُعاني قسوة الظروف ..

لا الأيام يمكن أن تداوي مابك..

الدنيا مدرسة ونحن فقط حصص منها ..

عندما تبني جدارا تأكد من صلابته كي لا يسقط عليك في يوم من الأيام!!

كان الله في عونك يا رحمات وحقا...

فنحنُ الحيارىَ في هذا الزمن.. نُبرمُ الأرض ذهاباً وعودة لعلنا نحفظ الطريق..

لعلنا نعود المرة بعد المرةِ ويَسهل علينا..

لكن الأرض تغير نفسها والأماكن تتحرك أكثر مما نتحرك..

نذهب ونعود على أملٍ أن يتغير لما نُريد..

إن ما يجلعنا نتنازل عن هذهِ الحياة هو محاربة الحياة لنا.. معركة أزلية في من سيكون الأقوى ..

في نهايةِ الأمر سينتهي كل شيءٍ .. سنكونُ جثثاً هامدةً مُتخثرةً..

ربما تفوحُ منها رائحُة العَفن ..يهربُ الجميعُ منها كما كنّا نهربُ نَحْنُ من أنفسنا.. ومن مواجهةِ بشاعة هذا العالم..

ينظرُ الجميعُ إلينا وقتها بأعينٍ متوجسة ..وقلوبٍ ملؤها الحزن ربما وربما لاشيء..

ثيابك ستكون جاهزه ومكانك كذلك .. حفره صغيره ضيقه ستكون هي مكانك المحصور.. لاتختلف عن الزاوية التي حُصرتَ فيها آنذاك حين كنت على قيد الحياة.. تحلمُ بحدود

فقط هكذا..

رأت رحمات في عمرها الكثير من البلاءاتِ والمحن والعطايا والمِنح.. رأت العافية وتمتعتُ بها..وجربت المرض وعانيته.. رأت الخير وفهمته ..وذا قتُ الهجر وتجرعت كأسه.....تشككت وأيقنت.. رضيت وسخطت..ضحكت وبكيت.. تألمت وتحاملت.. وتألمت وجزعت..

جسدها الهزيل يحمل نفسًا مرتبكة.. تأمر بالسوء تارة وبالخير تارة.. فتُطاع وتُعصى..

ورأسها يحوي عقلًا منهكًا..وبصيرة تطلب الهدى.. وتحلق في أرجائي روحٌ تحب الله وتسعى للفهم عنه..

اللهم ما بقي من عمري فهون عليّ الشقاء فيه.. وأعني على نفسي.. ولا تفرق همي.. واجمعه فيك ولك وإليك..وبارك لي في سفيان ابني ..اخر ورقة ستبقى من شجرة الطيبين ..

يارب ..؟!!

إن زمن المعجزات قد انتهى.. ونحن مؤمنين.. ونعي تماما أن الدنيا لم تُخلق مِثالية..لكن إذاقُدر لنا العيش في هذا الزمن.. فارزقنا الصبر والبصيرة.. نخالط الناس. ونصبر على آذاهم.. ولا نكون سببًا في ظلم ولا أذى أحد..

ويشعر بعضنا أن روحه عجوز.. ينظر للحياة بفوقية وكأنه ليس جزءا منها.. يزهد في شهوات لم يجربها قط وكأنه أعتاد عليها ومل وجودها.. ويزهد في امتلاك أشياء لم يجرب مذاقها يوما..

بعضنا روحه عجوز فتجده في شبابه يحن إلى خريفه.. وينظر لهؤلاء الذين يتقنون فن الحياة والاستمتاع بها بشفقة وكأنهم سكارى..

وربما بضحكة حكيمة مستترة ولسان حاله يقول "سيعرفون حقيقة الدنيا عندما يزول مخدر الشباب"..

بعضنا روحه عجوز قاتمة.. حكيمة.. روح لديها كل الإجابات وكل الأسئلة. لديها كل التجارب مع أنها لم تعش معظمها..

روح لا تندمج مع من في أعمارها.. تائهة دائما. ولكن يراها الجميع في توهتهم مرشدة..

هي في الدنيا غريبة وتنظر للسماء وكأن فيها بيتها..

مضت ثلاث سنوات على موت مهند ..

ورحمات لم تنسى ولدها وفلذة كبدها الوحيد لكنها صابر محتسبة

كانت تُلملِم عمرها الذي نشرته على حوائط بيتها القديم المُتصدِع ذو السقف الخشبي الموروث عن أبيها

تحزم أغراضها .. تخفي الآلام الجمّة .. و وشت بها بعض دمعات فرت من عينيها الشريفتين ..

كانت تبدو قوية ..لا تأبه للحزن ولا يكسرها الفقد لتمنح الآمال لإبنها سفيان ..

كل ركن في بيتها يشهد الود والمودة .. شاهد على الرحمة والرفق ..كان محراباً تتلى فيه صلوات المحبة ..جيل بعد جيل .. ..

كان حب والدها ..

للعلم والقرآن مؤنة وزادا..

تأثرت به كثيرا ..

فما جمعت رحمات ذهباً ولا فضة ..

وإنما مصاحف وسمات وطيبة ..

وكَرم وجود وزُهد..

كانت حَييّة لينة التعامل ..قوية في الحق ..

صابرة شاكرة محتسبة راضية ..أصيلة لها فضل ومنه..

لمثل هذه المرأة ..يقف الرجال تواضعًا.. ويطأطأون الرؤوس احترامًا ..

رحمات الله المتوالية على كل أنثى كما ينبغي ..تصنع الرجال..

عيونها خجلى وأنفها في السماء..

أراها أقرب نافذة الى الله..

هكذا أراها ..و هكذا تتجلّى...

ينهل المقربين منها من بحر عطاياها من جود وكرم وخلق ..

طقسٌ يُعتبر الإستغناء عنه كُفرا ..و التّبرُّكِ به سَعْيًا نحو الكمال ..

رحمة الله عليها ككيان مُقدس تستحق أن يُحسد ابنها عليه..

طبت وطاب ممشاك يا رحمات بعدد ما ضحك الأطفال في الكون ..

و بعدد ما إبتسمت النجوم في وجه الظلام ..و بعدد كل نسمة فجر أرخت هدوءها على قلوب البشر..!!

اما سفيان

فكان يذهب إلى عمله صباحا في شركة المقاولات التي كان يعمل بها محاسب منذ ثلاثة سنوات وشهور

يعود مساءاً ..

كان شاب يافعا طيبا دمث الخلق ..

يأتي كل يوم بالمساء يجلس مع أمه

ثم يدخل غرفته كعادته يلعب علي تليفونه

ويتصفح الفيس بوك

فتعلق قلبه بفتاه علي الفيس بوك

فحكى لأمه وقص لها ربما يخرجها من حزنها شيئا فشيئا وقال ...

تعلق قلبي بحبها لا أدري ما السر الذي جذبني إليها حتى بدأت أفتتح نهاري كل يوم بإرسال تحية الصباح لها برسالة خاصة، و كانت دائما ترد على تحياتي بأجمل منها، وأصبحث متلهف للحديث معها كل يوم أعيش معها لحظات صغيرة تبعث في قلبي سعادة كبيرة لا تتسع لها الدنيا، وأيقنت أنني أحبها رغم الظروف..رغم المسافات..رغم قامتها الشبيهة بقبضة النعناع، وحبها فتح أمامي عالما فسيحا من السعادة واللهفة، كتفتح الورود لندى الصباح، كنت شغوفا بها كثيرا، وعندما يرن هاتفي بخبر قدوم رسالتها.. أقرأها بحرص وانتباه، كنت عاشقا غيورا لا أحب أن يشاركني في كلماتها أحد، وحين تتأخر في الكتابة أو الرد على رسالتي المعلقة كرسالة على جدار حائط بنايا قديمة، أدخل في دوامة إكتئاب شديد .. لم أكن أعلم أن لها حسابات متعددة.. ومعجبين فاقو عدد حبات القمح المتناثرة والذرات الهائمة

وحين تعود، تجلب معها أعذار تجعلني أخرج من دوامة الإكتئاب، ولكوني أحبها، أتفادا الدخول معها في تفاصيل أعلم أنها لن يأتي بنتيجة..

فترغمني أن أقول لها شيئ أخر، فأبدء بالبحث عن عبارات أرضيها بها، فتخوونني اللغة وأخاطبها بعبارات عفوية..

بهذا الحجم من الخيال كنت أشتهي لقائها، لكن فرقتنا الأقدار قبل أن يجمعنا القادر..

فرسائلها تروي ظمأي ...رغم أني لا أرتوي منها أبدا...أعتقد دائما ان هناك المزيد...و نفترق علي أمل بلقاء جديد.. أشد قوة و أعظم أثر...إن في الحب شيء من الخمر...هو لذة الأرواح ..و الأنس بمن يمازجها دون أن يمتزج..و يخالطها دون أن يختلط...نخرج من نشوة حديثنا بمعاني عميقه..و قيم عليا....و تظل كلتانا تحتفظ بنكهتها...و عبقها الخاص...أنا و أنتي كالمتضادان اللذان لا يتضح ضرورتهما في الحياة... إلا باللقاء...نحن الليل و النهار...الشتاء و الصيف...الابيض

والاسود....أنا و أنتي...مغرمان بمن لا نحب فيه حبنا للأنماط...ولا للاساليب..و لا للاتجاه...إنه حب من نوع نادر...و خالص لله...نلتقي فلربما نثرثر...و لربما نصمت طويلا...الاهم ان نبقي معا لبعض الوقت نسترقه خلسة من زحام الحياة.....و يظل عناق الروح هو الأروع بصمه يا غاليتي....حينها تهدأ نفسي..و يمتليء خزاني بالوقود.... يتجدد أملي أني سألتقيكي بعد كل هذا الاشتياق...

.فإن فرقتنا الأيام..يوما... كعهدها بكل حب في حياتي..فلا تتناسي أبدا...أني سأظل أحبك...مهما حدث.

.وقعت في حبها كما تقع الذبابة في كأس شاي ساخن، أحببتها رغم أني لا أشبه أبطال السنيما الهندية في إطلالتهم الأنيقة، ولا أبلغ مقدار وسامة بطل فلم هندي ذو الشعر الحريري الطويل، والصدر المفتول، ويصعب علي حلق وجهي بنفس طريقة حلقهم لوجوههم البائسة ، لأن وجهي مربع ولا يستوي معه فعل نفس الشيء. لكنني أملك مواهب كثيرة.. لا تعد ولا تحصى، و لا يملكها أبطال السنيما الهندية

ولا تقف عند حدود

هذه المواهب المتعددة التي أتميز بها عن أبطال الأفلام الهندية الذين تلتقط معهم الصور كل يوم، مع العلم أن لا مواهب لهم سوى الوقوف أمام الكاميرات، بعد ساعات وقوفهم أمام مرآة التجميل، فلا غرابة أن يكونو بذالك الجمال، وقد تتضح على ملامحهم مساحيق تجميل كثيرة قد يخدعونك بها حبيبتي، وبالرغم من جمالهم المزيف ذاك، لا يمكن لأي منهم التمييز بين المكياج والجمال الطبيعي ...

فأنا أحبك وحدك، ولا أدري كيف ستكون الحياة في غيابك.

من صورتها ..

كانت جميلة على عكس ما تعرفه هى حتى على عكس ما يراه الناس ،

دائما هناك جانب مظلم فى شخصها كظلمة عينيها السوداوين

وظلمة خصلات شعرها الذى تختبأ ورائه تراقب كل العابرين فى صمت

تتذكر كل شئ مر بينها وبينهم تحفظ تفاصيلهم حركات اعينهم تترقبهم كأنها تخشاهم تخشى ألا يفهم احدهم تلك الظلمة فى عينيها وقلبها التى تحملها معها اينما ذهبت ،

كانت كل جوانب شخصها يثير الغموض او اللامبالاة التى تدفع الى الشعور الفارغ من كل شئ حتى الهواء كأنها شخص غير مرئى ،ومع ذلك فهى جميلة بطريقة مختلفة عن جنسها فكانت لا تنتمى لهم لا بمفهومهم ولا بمفهومها كانت طيفيا خفيا لا يدوم طويلا سرعان ما يزول اثره كسواد ليلة صيفية تغدو سريعة فهى لا تحب المكوث طويلا دائما ماترى نفسها عابرة سبيل لا تحل طويلا فى قلب احدهم دائما راحلة وكأنها لم يكن هنا مكانها فترحل سريعا وتترك خلفها طيفها الاسود الغامض فكان دائما يليق بها .

شاء القدر أن يتعلق قلبه جدا بهذه البنت الجميلة

فحدد ميعاد وقابلها

وجلس في الحديقة الدولية في القاهرة ينتظرها لأنها أعطت له ميعاد

وكان لقاء العُشاق ....

لقاء الشوق تتناثر فيه أجمل الكلمات وأرق التراحيب، مشاعر تبعث في القلوب ضياها، وترسم البسمة على شفاهها، وتعطي الحياة ألوانها وبهاءها، وتشع أطياف المحبة الحب في سماها. ما أحلى تلك

المشاعرالتي تنتابنا عند اللقاء، وما أرق تلك الأحاسيس، وما أصدق تلك القلوب، وما أجمل اللقاء! لقاءٌ نسيمه الشوق وعبيره الإخلاص، ينبع من بساتين الحب في ربيع العمر، في أرض القلوب في لحظة اللقاء. ما أجمل العيون ونظراتها وما أجمل الأحاسيس وتصويراتها، لحظة لقاء الحبيب، فهي إبحار في فضاء الدفء والحنان في أجمل مراكبها، مراكب الدموع السعيدة، دموع الفرح وبسمة السعادة وشعور القلوب

اسمها فاتن ..

وهي فاتنة الجمال وجذابة عودٌ ممشوق وعينان سوداوتان وشعر طويل ..فسفيان لم يستطيع المقاومة أمام هذه القنبلة النووية الصارخه .....

يجلس سفيان أمامها وقد نسى اسمه

نسي أنه سفيان

سفيان بلغ السابع والعشرين من عمره شاب وسيم جميل يشهد له المقربين في شركته والذين يعرفونه بأمانته وحبه لعمله وتفاني وإتقانه

سفيان وفاتن

ذكريات لا تنتهي وعشقٌ لا ينسي

أنه الحب وخاصة عندما يحب سفيان لأول مرة حبا صادقا ...

الحب جمره من نار.. تنشر شظاياها في قلوب المحبين فتكويهم بلوعة الشوق والم الفراق ..

ولنا في قصص السابقين عبرة ..كقيس بن الملوح وليلى..وعنترة بن شداد وعبلة..وسلامةَ والجس..وغيرهم..

فالحب وعود وعهود قطعة على عتبات الزمان ..

الحب تلاقي الانفاس وتشابك النظرات وتحليقها في سماء تخلو من الاحقاد والاضغان ..

الحُب تضحية على حساب المُحِب لمحبوبه..

الحب مقطوعة موسيقية تتناغم فيها الاوتار لتنسج لحنا دافئا من قلب الحبيبين ..

الحب وباء يصعب التخلص منه ..وغالبا ما تكون نهايته دموع ضائعة في عالم الأحزان .. فالحب إن لم يكُن شرعيا فهلاك ودمار حتى ولو جملته الاحلام..

اشتد مرض رحمات يوما بعد ونامت على فراش المرض تتأوه المسكينة من الام الجسد واحزان الماضي والمستقبل وموت ابنها مهند

فرحمات لاقت كثيرا من معاركٍ الحياة حتى وصلت إلى النهاية

نهاية المآسي والأحزان ..نهاية الطريق ..نهاية البداية

لا شيء يبقى ..

تنتهي قدسية الأشياء بِنفس سرعة بدايتها ..

الخذلان .. العثرات .. الطُرق ..

والكلمات التي لا طاقة لقولها .. والنهايات المبتورة ..

كأن الحياة لا تكترث بمدى أهمية الحكاية لدى أبطالها ..

فتقرر النهاية بأقصر الطرق المُمكنة وأكثرُها إيلاماً ..

سلاماً لكل ما انتهى .. لكل مالم يعد موجوداً ..

للطريق الذي فقدنا تصور نهايتهُ ..

فاضت روحها إلى السماء ماتت رحمات التي عاشت أياما مؤلمة واعواما قاسية قهرت الصعاب وذللت الأسباب وكسرت حواجز اليأس قسمت نفسها وعز قدرها

" الطيبون ..يسبقون .. إلى الله !

في الحياة قلة كالظل في الصيف وشربة الماء الباردة

التي تروي الروح قبل الجسد ..

كنسمة بحر .. وسكون ليل عابد ليس يقطعه إلا نشيج التضرع ..

هم زينة الدنيا ووردها ..لقائهم بهجة وبسمتهم تسكن الآلام وتنفخ في عمر الآمال

الطيبون ينثرون الورد أينما حلّوا أو ارتحلوا ..قلبهم إلى الله وأعينهم متعلقة بالسماء

الطيبون اليوم في الدنيا ودّعوا أحدهم .. ليلحق بالسابقين الأولين

إن شاء الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر يا رحمات ..

في مقعد صدق عند مليكا مقتدر يا مهند

الطيبون يغادرون الأرض سريعا .

وكأنهم يقولون للناس لا مكان لنا بينكم..

فالورد والزهر أقصر عمرا من بين النباتات .

كذلك الأتقياء الأنقياء يسبقون غيرهم للممات ويختارهم الله في أعظم الساعات وأبرك الأوقات .

رحم الله أرواحا كان وجودها بالدنيا جميلا ...

رحمك الله يا رحمات يا أم مهند ...

انكفأت المحبرة وسُكب حبرها مختلطاً بالدموع ..

توقف الزمن ولا يزال .. اختلف النبض واخلّت المشاعر

ارتقت روح طاهرة .. صعدت إلى السماء في سلام كما عاشت به

ما أشدّ موت الطيبين الصالحين !!

رحلت رحمات ولينها وعطفها باق .. مضت إلى ربها وروحها خفاقة بالحب في ذواكر من عرفها ..

آمنتُ أن الطيّبين مستقرّهم السماء ..على عجلٍ أتوا ..نثرت أرواحهم ورود المحبة

و بسلام غادروا..وعليهم سلام..

رحلت أجسادهم .. وبقيت سيرت

هم العطرة بلسمًا لجراح ذوي القربى بالمحبة....

رحلت رحمات ودفنت بجوار ابنها سفيان

رحلت وهي باقيه في نفوس من عرفها

ان شاء الله في جنة الخلد يا رحمات انت وابنك مهند ..

ماتت الحبيبة التي ذاب القلب عليها حزناً ،

ماتت الام .. حقيقة يدركها العقل ، وتنكرها النفس والروح حتى يلقاها مهند ..

ماتت الام فماتت الدنيا ، ماتت الأم .. فمات العالم ، ماتت الام فمات الناس .

سكت الصوت الذي كان يترنم بتسابيح الملكوت ، وهاجر الطائر الذي كان يغرد بصوت السماء .

ماتت بسمة العائلة ورحمتها وهي الرحمات ، ماتت الصدر الحنون ومصدر الأمان والحنان والإيثار ، توقف قلبها الرقيق فجأة عن النبض وجف فيض الحنان ونبعه ، جف بعد ان اغدق سيله كل من حوله كل من احتاج ليرتوي ،

ماتت .. فأصبح سفيان يحيا ببعض نفس وبعض روح وبعض عقل .

ماتت يد لا تعرف إلا العطاء ، وقلب لا يعرف إلا الحب والصفح والغفران ، ووجه لا يعرف إلا الإقبال والابتسام

لو كان يملك سفيان من من عمره شيئا لأعطاها إياه.. حتى يجعله لا يفارقها ساعة

كانت وعلى الرغم من مرضها تشعر بابنها بفرحه بألمه ، تعيش واقعا بحلوه ومره ، وجودها يشعرسفيان بالأمان والقوة .

إلهي مؤمنة بقضائك وقدرك ، ولكنها الأم التي لا تطيب الحياة الا بوجودها ولا يهنأ العيش ولا تقر العين الا برؤيتها .

رحمكي الله يا قرة العين وفلذة الكبد.....

وقف سفيان امام قبر أمه يبكي وتنهمر الدموع من عينيه

حزين وبائس ووحيد ليس له ظلا ولا ظليلا وشريدا

يقول :

لو كنت أملك أن أهديك قلبي لنزعته من صدري وقدمته إليك، ولو كنت أملك أن أهديك عمري لسجلت أيامي باسمك، ولكن لا أملك سوى الكلمات الكثيرة من صادق التعبيرات فلتكن هي هديتي لك يا أمي . كان أمي من أشجع وأحكم الأشخاص الذين عرفتهم في حياتي، سأفتقد ضحكتها الغالية كثيراً. يطاردني طيف أمي دائماً، ذهب بعيداً وأنا مشتاق إليها. اشتقت لأم لن ترجع أبداً ولن يأتي مثلها أحداً، الأمومة هي الحنان ..الأمومة هي الأمان. أمي ، لقد تركتني وحيدا في الدنيا، لقد تركتني أحتاج لغيرك، لقد تركتني أبكي الليالي، لقد تركت قلبي يتقطع شوقاً للقائك. أمي طاب منامك الطويل، ورحم الله جسدك الذي امتلأ طهراً،

وغاب عن الدنيا. مؤلم أن ترى وتسمع حديثهم عن أبائهم وأنتِ تتوارد بك غصات فقد، وتغمض عينيكِ وتقول اللهم لا تذقهم ما ذاق اخي مهند إني أشتاق لك شوقاً لا يقاس، شوقاً لا أستطيع التعبير عنه. أمي نعم اشتاقت أذني لسماع صوتك . رحم الله البعيد عن العين والقريب من القلب أمي . لا أجيد التحدث مع الناس، أمي كان الشخص الوحيد الذي أستطيع التحدث معه، ولكنّه توفي. الحمد لله أن أمي توفت وهي راضِية عني، اللهم ارحم أمي الغالية واغفر له يا أرحم الراحمين وأدخلها الجنة يا رب. ربي متع أمي في جنتك. أشد ساعات الألم حين تضيق بك الأرض شوقاً لغائب تحتها. هي أمِ أحببتها حب فاق كل حدود الحب، هي أمي وبسمتي التي غابت ومن بعدها فقدت كل مشاعر الحب الحقيقي. كانوا يسألوني عن الأمان، أقول: حذاء أمي عند الباب، رحمك الله يا أمي..كنت لي أبا وأما واختا وصديقا ..

توفت أمي ، ولا أملك لها إلا الدعاء والمغفرة من الله تركت في وجعا لن يشفيه أحد.. رحمك الله يا أمي وأسكنكِ فسيح جناته، سلاماً لروحك الطيبة يا أمي . برغم كونك رحلت من الدنيا إلّا أنك لم ترحلي مني لا زلت تسكنني، ولا زلت أراك في كل صوب وناحية يا أمي . أن تفقد أمك

معناه أنك تخسر الجدار الذي تستند إليه، ويجعلك في مهب ريح، أن تفقد أمك معناه أن تفقد السماء التي تجود بنبع الحب والحنان، أن تفقد أمك معناه أن تفقد المظلة التي تحميك من الشرور وتجعلك وحيداً في مواجهة العالم. اللهم اجعل قبر أمي وجميع موتى المسلمين روضة من رياض الجنة. إنّ القلب ليحزن وإنّ العين لتدمع وإني يا أمي على فراقك لحزين الحمد لله راضية بقضاء الله وقدره وأسأل الله أن يلهمني الصبر، ولا أقول إلّا ما يرضى ربنا سبحانه وتعالى إنّا لله وإنا إليه راجعون.

ما زلت أشعر بنقص عند بموت أمي وسازال .. . غفر الله لك يا أمي وغفر لي حزني من بعدك. الام ملجأ كل فرد من العائلة، فإذا فقدتها فقدت الحياة. لكل منا سر يبكيه ليلاً وأمي هي سري. كم هو مؤلم أن تشتاق لشخص وهو نائم بقبره. إنّ الأم مثل الروح، عندما تخرج يتهاوى الجسد. أمي إني أشتاق لك شوقاً لا يقاس شوقاً لا أستطيع التعبير عنه. فقدان الام موت على قيد الحياة، لكن ما يجعلنا نعيش هو الدعاء، نحن نعيش على قيد الدعاء لوالدينا. فقدان الأب وبكل المقاييس ليس بسيطاً. انتظرنا عند باب الجنة يا أبي.... أبي إنّ قلبي قارب على النهاية فقد تعبت من الانتظار لعل يوماً تأتي فيه لو في حلمي، لعلك يوماً

تأتي إلي وتضميني إلى صدرك الحنون فقد انتهت الدموع من كثر البكاء دون جدوى. توفت أمي فأظلم العالم من أمامي، توفت أمي فانكسر قلبي، ولم تجف دموعي، وأصبح قلبي لا يعرف معنى للفرح. أمي كم افتقدك رحمك الله. رحم الله وجهاً لا ذكرته بكيت. ولو أنّ العمر يعود يا أمي لبكيت الآن بأحضانك وأخبرتك كم كان رحيلك مؤلم. أمي غيابك أوجعني كثيراً..

اللهم اغفر لها وارحمها وعافها واعف عنها ووسع مدخلها واكرم نزلها....ربي اغفر لها وارحمها واسكنها فسيح جناتك...اللهم اجعل قبرها روضه من رياض الجنة ولا تجعله حفرة من حفر النيران ..

جلس سفيان بعد وفاة والدته وحيدا شريدا في دار جده التي ولد فيها وترعرع محدثا الدار ..

أين أصحاب الدار ؟..

عندما تسترجع جزء من ماضيكَ القريب، فتُضطر إلى أن تعود خطوات إلى ذكرياتِ الماضي البعيد،

الماضي بآلامِهِ وأحزانِه، بآهاتِه وسكناتِه، بأوجاعِه وآماله، ولكن أكثر ما يُخيم على حبلِ أفكارك !

الدار ،الدار التى تربينا جميعا في كنفها بذل جدي الغالي والنفيس من أجلها بُنيت جدرانها بالعرق والكفاح، والجهد والفلاح!

واكثر ما آلامنا بعد كل هذا العناء والشقاء انها

أصبحت خاوية بها ماضيٍ لآثارٍ طيبة!

ومن آخِر هذه الآثار التى ما زالت ترن وتدوي في الدار ..

أمي رحمها الله:

الام التي عجزت أساطير الماضي والحاضر عن وصفها، وعن مدى حلمها وحبها لي وأخي رحمه الله

أتذكر ذكريات تناسيتها السنون ولكن خلدتها الجيران على مر الأيام !

أتذكر جلوسها والكل محيط بها يأخذه برأيها كل يتمنى الحديث معها، انها بحر من العطاء وصفاء ونقاء !

فتجد فيها حكماً بالغة في احتوائها للجميع! وابتسامات تُنسيك بحراً من الاحزان، وآمالاً يعيشها الوجدان ،ولملمة جراح كل مدان!

كانت شجرة يستظل الجميع بظلها من أراد السمو والعلو ،فليطلب منها الدعاء لأنها نقاء وصفاء ودعوة مستجابة من السماء!

كانت امالا لا تنتهي، وذكريات لا تُنسى، وخير لا يَنضب وحبا لا يمل!

كانت ثمرة، لا الأشواك تعتريها.، ولا الأجواء تغيرها فهي ثابته وعابدة!

انها ذكريات دار ،حملت كل معاني التآلف والتعاطف وقلت فيها التناحر والتجاذب !

وكثر فيها التلاطف والتناغم!

ودووت في كل ركن من اركانها الصلوات والعبادات

لانها بنيت على اساس متين وحبل مستقيم!

انها من أسمى معاني الذكريات وزمن فات...

فلستُ أدري من أين أبدأ وقد جثمت حروف الألم على قلبي المحترق ..

فهل أكتفي بالماضي أم أغوص في الحاضر أُلامس الأوجاع بمشاعر زمننا الرديء..

فحالة الحزن تصارع وجداني عندما اكون منفردا بنفسي..

أو علي سفر بعيد اهيمُ في الماضي ..

وفكري مُلبد بهموم الحدث .. وانزلاقات القمر الموغل

في فضاء الألم..

أُمي .. لقد كنت أسمع منك كلمات كانت تُبكيني ..

وقلبي لم يكن يتحمل تلك الكلمات الملتهبة..

سأشتاق إليك يا أمي وأشتاق لأحضانك لأنك قد تركت في وجداني وجعا وأنت تعلم أن لي قلبا ينبض بِحُبِك..

ستكون السنوات المتبقية من عمري عجافا بلا دفئ روحك ولا نغمات صوتك..

لقد كنتِ المعطاءة الذي وهبتني كل شيء ولَم تنتظري مني شيء..لأنك الأم وانا الولد الصغير..

تُعطيني لكي أشُق طريق الأمل نحو فجر جديد..

مضت على سفيان سنة وأتت أخرى!!

والحال هوالحال!!

تتغير الأزمنة والساعات..

لم يعد يتمالك نفسه بكل هذا.. فوصل به المطاف الي البكاء والنحيب بكل بمرارة وحرقة!!

بكى على أقدارهو التي رمته بهذه البقاع التي كان يظن أنه جنة !

بكي على هذا الصراع الذي دخله مرغماً!!

دمعات أمه التي ما زال يذكرها!!

فراق أحبته فقد زاد فراقهم من وحدته !!

بكي وبكي ثم بكي!!

متذكراً مواجعه ..ومستشعراً آلامه .. التي كانت مدفونة بقلبه الصغير الذي عجز عن احتوائها!! وتراءت له أحلامه البريئة ..وقد تلاشت في مهب الريح فقد أرغمته الظروف أن يتجاوز منطق الزمن!! ليفوق عمري عدد الأيام والسنين.. فلم يعد ذلك الفتى الذي يكاد يبلغ .وقد دخل بؤرة الصراع بين الحقائق والأباطيل!!

ليجد نفسه شاب قبل المشيب!!

ليجد نفسه ركب قاربا صغير يسبح في بحر لا متنااهي فحقا انها صراعات البشر مع الحيااااة !!

ما افعل الاياااام!!

إلى أين نحن ذاهبون بهذه الوجوه !!

فلم يعد يتحمل العيش في هذا الكوكب

لقد صبر وإنتهى صبره يرغب في البعد عن هذا العالم البائس!!

لم يعد يتحمل !

سوف يغادر .

ترقبو ذلك .سيكتبها المسكين على الجدران والحائط .وعلى بيته وعلى هاتفه ..لا يتحمل العيش وهو يري هذه الوجوه !!

لا يرغب ان يشاهد المزيد من المهازل والشطط!!

كفى كفى أيتها الأيادي الظالمة !!

لا أريد أن أرى مزيدا من الميوعة.. والقوي يمارس قوته على الضعيف دون عفوا وعافية !!

لا يريد رؤية مجموعة من الذئاب البشرية تحكم الزور ...كفى !!

لا يستطيع العيش علي ارض هذا الكوكب .

ولولا ان باات في صميم عقيدتي ما اعتقده لذهب العقل الي ادرااج الرياااح لما يمر به فسيبقى متحليا بالصبر ومتشبثا بالحكمة.....

تتصل به فاتن من وقت لآخر تطمأن عليه فازداد حبا لها وعشقا فيها حتى أنها لو طلبت منه أي شيء لن يتأخر عنها

لكننا لا ندري ماذا تفعل لنا الايام ...

الايام وحدها كفيلة دائما بأزالة الغموض وهي من تداوي جروح الأيام وآلام السنين وهي من قد تمسح دموع اليائسين فليس فيها ما يستحق الدموع .

فهمها طالت لحظاتها ستزول

وستدرك انك كنت متعلقا بخيط رفيع من الدخان فيه امال لا تنتهي وأماني ليس لها حدود.

وفي يوم طلبت فاتن من سفيان أن يقابلها في أمر هام

فقابلها الطيب .

وهذا ما حدث لسفيان بعدما خدعته هذه اللعينة فاتن ؟

هو بائس مسكين حزين ،يعيش في بيئة معتمه، في جو ضبابي لا يعرف ليله من نهاره، فهذا ليس اختياره وانما قَدره الذي قُدر له !

جسد متعب اشبه بالحطاام لا ينام إلا على اقراص منومة، ولا يستيقظ الا على مسكنات مهدئة، يمر الوقت ببطء وموحِش على تلك الساعة

الجدرية! ينظر إلى سقف بيته الخشبي، يتحسر على ما آلت إليه سذاجته وجريمته!

سقفُ خشبي مَقيت يتخلله الهواء

كان شابا جميلا يافعا جذابا اضاعه الحب ،اضاعته هذه البنت التى استدركته إلى قلبها الولهان

اضاعته فاتن ..

فأحبها وعشقها ،وصار عبدا للحب الأعمى ،لم يفكر يوما ما بعقله، وانما كان دائم التفكير بقلبه، عاش معها عبدا لرغباتها المُلحة فاستنزفت منه الكثيير!

كان يعمل موظفا في شركة كبيرة، يُشهد له بالنجاح والفلاح ،الكل يثنو عليه، ولكن رغم كل هذا إلا أنه لم يستطِع الوقوف أمام رغباتها الجياشة

خدعته مع حبيب آخر ،وشيطان اشرد ،اتفقا عليه !

فمثلت أنها مريضه وعندها مرض خطير وجسيم !

وتحتاج لعملية كبيرة وإلا ستموت !

وذهب معها المسكين إلى المُمثل المُستَأجَر ، القائم بدور الطبيب المزيف ،ليرى بنفسه :فقال رفيق دربها وشريكها المُمثل عباس إن حبيبتك يا سفيان تحتاج الى عملية كبيرة بتكلفة ثلاثة مائة الف جنيها!

فما كان منه إلا أن صدق المسكين، جلس يبكي على حبيبته التى سيحول الموت بينها ، كأمه رحمات وأخوه سفيان اللذان مات وأصبح وحيدا

فهداه تفكيره بصفته محاسبا في هذه الشركة، أن يسرق هذا المبلغ، لكي تحيا قيثارته وضالته المنشودة !

قابلها وقال لها لا ولن تموتي فسأدبر امرك ،فجلست تبكي وتنهمر الدموع من عينيها، ولكن البائس المسكين صدق هذه الأنثى اللعينه، التى ضحكت على إبليس وجاء يوم التضحية فذهب إلى الشركة واختلس المختلس !

انه لمراهق ارهق ،اخذ المال وذهب واعطاه لها، ثم بعد أيام ذهب لبيتها الذي اعتاد الذهاب إليه فلم يجد الا سراب في عقله الواهم، وبعد أيام عده تم القبض عليه وحبس وقضى عقوبته ثم خرج بعد سبع سنوات، قضاها خلف القضبان الحديدية خرج هزيلاً ضعيفا.

أصبح هكذا أشرد الفكر، أبهت اللون، شاحب الوجه!

هو يعلم انه ضحية وأنه مُخطيء ،لكن ضاعت منه سنين طويلة قضاها يدفع ثمن جريمته الحمقاء !

هل حقاا اقتربت نهايته.. . نهاية هده الحياة البئيسة التى يحياها

انه على يقين ان الموت سيأتي يوماا ما لكنه لا يملك صبرا ولا يطيق العيش في هذا العالم المليء بالوحوش البشرية وحوش باعت ضميرها، كل شيء تقيل على صدره اختلق الاعذار هربا من واقعه المبعثر السيء

وفي يوم من الأيام الحوالى حدثته نفسه عن الأيام الخوالي وقالت له

في لحظةٍ ستكتشف يا أنا انك اضعت كل شيء...

في لحظة تَسرُع اوتَهور، أو ربما احترام آراء كان من الواجب عليك احترامها ،وعكس ذلك سيُلقي بك في وادي ضياعٍ أكثر من هذا الذي أنت فيه، ستكتشف أنك قتلت كل شيء ،ولم ينبغي لك سوى مشاهدة حُطام أحلامك، وإخماد نار حماسك، بدموع الحسرة والندم، ستتفاجأ لأنك ستبقى وحيداً

يا أنا انظر هنا ، نعم نعم هنا، حتى انا سأغادر! سأتركك وسأترك معك كل تلك الافكار، الاحاديث! الألم، الندم، سأغادر الى المكتوب ، سأذهب الى عالَمٍ آخر،عالَمٌ مخالفاً لما عشتُ فيه، حتى انا سأتخلى عنك وعن أفكارك المتجهة نحو الخراب ،سأذهب قبل ان تصد سنوات العمر باب التغيير في وجهي!

سأذهب يا أنا، وقبل ان أُغادر أود ان أخبرك، أن هناك أوفياء في هذا العالم ما زالوا على حقٍ، فالحسرة والعض على أصابع الندم، لن يوصلك لأي نتيجة وستظل على حالك، سأرحل وذات يوم سأعود وأخرجك من هنا فوداعا يا أنا!

فقام ولبس ملابسه الباليه ليخرج من بيته بحثا عن الطعام، فليس معه ما يَعيله حتى يوما واحدا فنظر إلى جدار الحائط فلم يرى إلا الساعة الجدرية التى دائم النظر إليها ليعرف ليله من نهاره ولم يدري المسكين ان هذه الساعة هي مفتاح الفرج فأخذها وهي التى ورثتها امه عن أبيها الشيخ الجليل والد رحمات وذهب ليبيعها في إحدى المحلات الكبيرة، فدخل المحل متجها إلى البائع، فعرض عليه الساعة، فما كان من البائع الا وقف صامتا امام هذه الساعة الثمينة التى لا تُقدر بثمن فذهب إلى

صاحب المحل في مكتبه وعرض عليه فقال له من هذا الذي يبيع هذه الساعة ادخله هنا في مكتبي اريد رؤيته فدخل الشاب المُحطم المسكين الذي ارهقته الأحداث ،فقال له يا بُنّي لما تبيع هذا الساعة: قال له احتاج بعض المال، وحكى له قصته قال له يا بُنّي :والدتك انا أعرفها رحمات واعرف جدك الشيخ رمضان ..

صاحب فضلٌ علي وقد وقف بجانبي كثيرا في الماضي فأنا مدين لك يا بُنّي ولجدك الرجل الصالح ! الذي أخذ بيدي ووقف بجواري كثيرا !

والدتك رحمهما الله جاءت لي قبل ذلك كثيرا لصيانه هذه الساع الثمينة ، والدتك كانت طيبة القلب انا الآن ميسور الحال وعندي رزق الله الكثير ولك عندي معروف في رقبتي بعدما فهمت منك كل معاناتك!

وكأن الشاب رُدت إليه روحه من جديد ،وإذا بقلبه ينبض نبضات الحياة ،فقال له اريد العمل معك! فأعطاه الرجل مبلغا صغيرا من المال ،واعطاه الساعة وذهب الشاب واشترى ما يعينه على رحلته في العمل الجديد والحياة القادمة .

وجاء اول يوم ذهب فيه إلى عمله وعنده من النشاط والحيوية ما يكفيه!

واتضحت الرؤيا، واندثر كل ذلك الضباب، وقد زال كل ذلك الوهم، الذي يعتريه وتحطم كل تلك الوساوس وواجه الواقع، واكتشف ان لا شيء سيفيده الان ، الا البداية المرجوة ،وبين ثنايا هذا الليل الصامت هناك حكاية حكت سطورهاا داخل دهااليز الالم، وسطرت حروفها باقلام اليأس والضياع .

كأن هناك شيء !

شيء ما جعله يصبر، شيء ما منحه أملاً، في أن الوضع القائم، هو وضع مؤقت ولن يستمر، وكأنه انتظر شيء ما، أو شخص ما ،أو حدث ما، سيتغير بعده حاله ويرتاح باله من الشقاء، وتُشفى صدوره من الكدر، وينبض قلبه بالحب، ويستطيع بعده أن ينام بسهولة نومًا عميقًا كالأطفال، ويستيقظ بدون صداع أو ألم جسدي، ويشعر أن رقبته وظهره لم يعد بها ألم، وتوقف عن المسكّنات، وشعر بالرضا.

وقد قضى في هذا المحل خمس سنوات، اظهر فيه إخلاصه وحبه للعمل ،ووثق "الحاج مُستبشر" فيه ، وبعدئذ أخذ توكيلا كبيراً في الساعات، وأحبه "الحاج مستبشر" حبا جما.. واصبح من اصحاب الشركات المعروفه في صناعة الساعات!

وفي يوم طلبه صاحب الشركة في بيته فذهب هذا الشاب إليه ورن جرس الباب ففتحت له الباب هذه القيثارة الجميلة صاحبة العينين النجلاوتين والاحساس المرهف واذا بالشاب يقف صامتا شاردا! اتفضل والدي في انتظارك فرحبا به وقُضي الامر الذي جاء من أجله

وخرج الشاب متجها إلى شركة الأمل الذي هو مديرها ومسئولها

وجلس والد الفتاه يُثني على ذلك الشاب باخلاصه ووفاءه ،وتحديه المصاعب، وقصته المآساوية التى صنعت منه رجلا قويا ،وإذا "بآمال الجميلة " قلبها ينبض وقد نبض بالفعل منذ الوهلة الأولى، هي البنت الوحيدة لهذا الرجل العظيم، امها ماتت وتركتها وحيدة مع أبيها الحاج مستبشر صاحب الأخلاق الكريمة، والمعروف الذي لا يُنسى على مر

الزمن، فالمعروف موجود حتى وإن مر عليه السنين عند اصحاب القلوب اليقظة!

ومن الجهة الاخرى قد دخل الحب الصادق إلى قلب الشاب سفيان ..

فهي بنت مَن ؟

بنت من وقف بجانبه من أحياهُ بعد مماته !

وفي يوم بلغ السكون غاية ،طلب الشاب المناضل المكافح الزواج من ابنة صاحب شركته، آمال .. فما كان من الرجل الا انه سُر جدا ،وتزوج الفتاه وقدم شبكته لها الساعة الجدرية الثمينة، التى هي سِر سعادته الأبدية! فكانت نعم الزوجة ،ونعم الأدب، والوقار والاخلاق ! فحقابالإرادة تُجابِه الصعاب

وتُحقق المطالب ،وتكسر العوائق !

مسيرتك تبدأ بخطوة!

فؤادك يريد أشياء أخرى !

حكمتك تقرر مسارك !

الطموح يسيطر عليك ، إختر هدفا واحدا !

خطط له جيدا ، المعرفة سلاحا بيدك تزيح به جهلك، اعلم أنك مهما خفقت ،فلا تيأس! فالصبر قلم تشيد به عتبات سلمك ،فالغريب هو الذي مر من الدنيا ولم يترك فيها أثرا، فالتاريخ لا يرحم ،فإما إلى مزبلته أو إلى صحائفه ، فالخلود قد يكون بسيط الحلم وكثير التحدي

" ولا شيء يعدل نعمة " الرّضا "

تُجمّل المحتاج بالتعفّف وتُزين ملامحه بالسكينة

إن الراضي بقدر الله الملهَم الصبر على الشدائد لفي نعيم لا يدركه إلا من جزع ..وضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحُبت !

الرضا ..يُحيل الألم أملاً والآهة بسمة والنشيج ترتيلا وابتهالاً !

السلام والمحبة وباقات ورد تليق

للقلوب الساعية إلى الله في صمت والمشّائين إلى الجنان دون صخب

للصابرين والشاكرين والحامدين ومن لم يكسرهم الفقد ولم يُزعزع إيمانهم الابتلاء !"

لماذا أنت هكذا ؟

الحقيقة لا أدري، فأنا هكذا حتى لنفسي !

ربما لأنني آثرت الصدق واخترت أن أكون واضحاً..

بسيطٌ حد السذاجة.. ومتعاطف مع الجميع..

أجد في قلبي عاطفة حتى للشجر والحجر..

أتعاطف مع الثعابين رغم خوفي منها، فذلك التّسلُّل الصامت قد يصيبك في مقتل إلا أنها تدافع عن نفسها.

أجد السعادة عندما أشعر أن القلوب صافية ونقية فلا شحناء ولا بغضاء ولا حسد .

لعل هذه الطبيعة بسبب تكويني الشخصي..

فالحب لا يطرق الأبواب المغلقة.. ولا يزور ساجني قلوبهم في محطات الفقد .

أحياناً.. وفي عمر معين تقريباً ..!!

يتهيأ لنا أننا بهذه النهاية وهذا الفقد.. سنفقد أنفسنا وذواتنا.. لن نستطيع العيش والضحك والتنفس.. لكن.. يمرّ الأمر مهما كان مرّاً..!

وأما فقد بعد نضج.. فيصبغ القلب بالهيبة والشيب والشوق الوقور..

سبحانه وحده الذي أحاط بكل شيءٍ علما..!!

تمت...